الوطنية
فى شعر البارودى

دكتور
رزق محمـــــد داود

الفصل الأول

- حياة البارودى وعلاقته بعصره
- حياته
- صفاته
- البارودى وعصره
- البارودى وثورة عرابى
- البارودى فى السجن
- دوافع اتجاه البارودى للشعر الوطنى
- الحياة العسكرية
- رقة احساسه ورهافة مشاعره
- تقلبه فى المناصب المختلفة
- البيئة المصرية
- رحلاته

مقدمة

تتعرض هذه الدراسة للوطنية فى شعر البارودى ، والبارودى أهم شخصية أدبيـــة فى مجال الشعر فى العصر الحديث ، حيث بعثه الأقدار على حين فترة من المجددين فى توقيت يحتـاج فيه الشعر إلى من ينقذه من وهدته التى تردى فيها خلال العصور التى سبقت عصره مباشرة .

وجاء البارودى فقرأ الشعر فى أزهى عصوره ، فارتسمت فى ذهنه القوالـــب العربيـــة الأصيلة والمضامين الشعرية الجادة ، فلما نظم الشعر جاء قريضه فخماً جزلاً رصيناً على النمـط الذى قرأه عند الفحول فى عصور قوته الأولى .

ولم يكن البارودى شاعراً فقط ، بل كان فى حياته العملية وطنيا من أخلص رجـــالات هذا الوطن ، حيث شارك فى الثورة العرابية ، وكان أحد زعمائها وتعرض بسبب وطنيته للنفـى والتشريد كما قام بكثير من الرحلات واشترك فى حروب الدولة العثمانية ضد روسيا ، وكانت فترة نفيه إلى " سرنديب " مرحلة تحول فى حياته ، بما بثه خلالها من قصائد الحنين والشـــوق إلى الوطن إلى أن عاد من منفاه سنة ١٩٠٠ غير أن القدر لم يمهله إذ توفى سنة ١٩٠٤ بعد أن ترك حياة حافلة بالوطنية ، وآثارا أدبية جديرة بالدراسة .

وهذه الدراسة المتواضعة تعد خطوة على هذا الطريق ولعلها تمثل بعض براهين الوفـــاء لهذا الرجل الوطنى الأصيل .

الباحث

د- رزق محمد داود

البارودى

= حياته : = [١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ] [١٨٣٩ - ١٩٠٤]

يعد البارودى رائداً للاتجاهات الشعرية الجديدة فى أدبنا العربى ، وهو رب السيف والقلم ، والبارودى نسبة إلى ايتاى البارود بمديرية البحيرة ، حيث كان أحد أجداده ملتزما لها وينتسب أجداده إلى حكام مصر المماليك [١] .

توفى أبوه وهو فى السابعة فحرم حنان الأب ورعايته وتلقى دروسه الأولى فى البيت حتى بلغ الثانية عشرة ، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والأتراك وأبناء الطبقة الحاكمة وتخرج من المدرسة الحربية سنة ١٨٥٥ وهو فى السادسة عشرة من عمرد فى عهد عباس الأول.

ثم التحق بخدمة الجيش المصرى ، واشترك فى بعض الوقائع الحربية فأظهر بطولة فذة وشجاعة نادرة وتعلم الفنون العسكرية ، ظهرت شجاعته فى حرب كريت سنة ١٨٦٦م ، والحروب التى كانت بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧م ، وقد كان لاشتراكه فى هذه الحروب وغيرها أثر كبير فى صقل مواهبه الشعرية ، فانطلق لسانه يجود بشعر جزل رصين يصف أهوالها ويصور أحوالها.

ترقى البارودى حتى وصل إلى رتبة اللواء ، وعين محافظاً للشرقية ، وبعد حين اختاره شريف باشا وزيراً للمعارف والأوقاف فى وزارته الثانية سنة ١٨٧٩م فى أوائل عهد توفيق [٢].

ولما نشبت ثورة عرابى ، كان أحد زعمائها النابهين ، وقد تولى رئاسة وزارة الثورة العرابية ١٨٨٢ م ، ولما فشلت الثورة نفى مع زملائه إلى جزيرة سرنديب التى ظل فيها سبعة عشر عاما ، ضرب خلالها أروع الأمثلة فى الإباء والشمم ، وعلو النفس ، واحتمال الآلام بصبر وإيمان.

وقد عبر عن هذه المعانى شعرا ساميا يصور به ما فى نفسه إذ يقول :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا

همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا (١)

---

(١) البارودى لعمر الدسوقى ص ٢٢ .

(٢) حافظ ابراهيم شاعر النيل – د. عبد الحميد سند الجندى ص ٣ دار المعارف ص ٨٣ (١٩٨١) .

ثم عفا عنه الخديوى عباس فعاد إلى أرض الوطن سنة ١٩٠٠ ، وبعد أن كف بصـــره فاعتزل الناس بعد عودته لا يلتقى إلا بعلية القوم من الأدباء والشعراء حتى توفى سنة ١٩٠٤م.

صفاته :

كان البارودى طويل القامة ، ذا أنفة وكبرياء ، يعطيك مظهره صورة فارس عمـــلاق من فرسان العرب القدماء ، وقد كانت هذه الصورة محيية إلى نفسه ممزوجة بصـــورة الشـــاعر والمتحدث اللبق ، حيث يتحدث عن هذه الصفات المتأصلة فى شخصيته إذ يقول :[١]

أنا مصدر الكلم النوادى بين المحاضر و الـــبوادى
أنا فارس أنا شاعـــــر فى كل ملحمة ونـــادى
فإذا ركبت فإنـــــنى زيد الفوارس فى الجلاد (٢)
وإذا نطقت فإنـــــنى قس بن ساعدة الإيادى(٣)

اعتز البارودى بنسبه وحسبه ، فى عصر ساد فيه الجراكسة والأتراك وقال فى ذلك : [٤]

أنا من معشر كرام على الدهـــــــــر أفادوه عزة وصلاحا
عمروا الأرض مدة ثم زالوا مثلما زالت القرون اجتياحا

ونظرا لدراسته الفنون العسكرية ، ونشأته نشأة عسكرية فقد أثر ذلك تأثيرا عميقـا فى أخلاق البارودى ، فرنا إلى العلا وتطلع إلى المجد يردده على لسانه كأنه أغرودة خالدة أو أمـــلا يسعى جاهدا لتحقيقه : [٥]

أود وما ود امرئ نافعا له وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جَـــدّ
ومالى من فقر لدنيا وإنما طلاب العلا مجد وإن كان لى مجد

---

(١) ديوان البارودى جـــ١ ص ٢٤٣.

(٢) زيد الفوارس : هو ابن حصين بن ضرار الضبى ، فارس جاهلى مشهور ، يضرب به المثل فى الشجاعة وشدة البـــأس ، والجلاد : القتال وهو فى الأصل مصدر جالده بالسيف أى ضاربه وقاتله به.

(٣) قس بن ساعدة الإيادى : من خطباء العرب فى الجاهلية ، وهو أوسعهم شهرة وأبعدهم صيتاً ، وكان يدين بـــالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، وكان الناس يتحاكمون إليه فيقضى بينهم ، وقد سمعه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو يخطـــب فأعجب به وأثنى عليه وعمر طويلا وما قبيل البعثة .

(٤) ديوان البارودى جـــ ١ ص ١٣٠ .

(٥) ديوان البارودى جـــ ١ ص ١٦٥ .

ولم يسمح البارودى لأى مؤثر يثنيه ويصرفه عن طلب العلا فعزف عن اللهو والنساء فى بداية حياته لكنه غير نظرته تلك عندما جاءه الجاه والمال والثراء ، وغدا يتيه بشبابه وقيمه المادية والمعنوية على الحسان ويغشى مجالس الأنس واللهو والسمر إذ يقول : [1]

فما العيش إلا ساعة سوف تنقضى ... وذا الدهر فينا مولع برماء [2]

ولا تحسبن المرء يبقى مخلدا ... فما النقض إلا بعد كل تماء

وقد سيطرت الصفات الخلقية والقيم الإنسانية كالمروءة والوفاء وغيرها على كثير من فخره ، وها هو يفخر بثباته على مبادئه وعدم تلونه فى وقت يكون فيه الكثيرون وفق المصالح والأهواء . [3]

واختبرنى تجد صديقا حميما ... لم تغير وداده الأهواء

صادقا فى الذى يقول وإن ضا ... قت عليه برحبها الدهناء

أما براهين اتصافه بعلو الهمة والأنفة والنجدة والإباء والكرم والشجاعة الأدبية والعسكرية فكثيرة فى شعره نذكر منها قوله : [4]

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرّه ... علىّ يدا أغضى لها حين يغضب

وقوله : [5]

وجد بما ملكت كفاك من نشب ... فالجود كالباس يحمى العرض والنسبا

وقوله : [6]

فعلام يخشى المرء فرقة روحه ... أوليس عاقبة الحياة فراق

لا خير فى عيش الجبان يحوطه ... من جانبيه الذل والإملاق

عابوا علىّ حميتى ونكايتى ... والنار ليس يعيبها الإحراق

---

(1) ديوان البارودى جـ ١ ص ٢٦ .

(2) الرماء : مصدر راميته مراماة ورماء يقول : ليست الحياة إلا ساعة ثم تنتهى وهذا الدهر مغرم برمى الأحياء وإهلاكهم .

(3) ديوان البارودى جـ ١ ص ٢٨ .

(4) ديوان البارودى جـ ١ ص ٧٦ .

(5) ديوان البارودى جـ ١ ص ٣٩ .

(6) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٩٩ .

نخلص من هذا إلى أن البارودى جاء شعره ترجمانا صادقا وناقلا أمينا لأحداث حياتـــه من أفراح وأتراح وتعد هذه فى حد ذاتها تلخيصا موجزا ومركزا لتلك الثـــورة الـــتى فجرهـــا البارودى فى عالم الشعر عند ظهوره ، حيث كان الشعراء قبله يتعلمون العروض والنحو واللغـة وما إليها لا ليفصحوا عن خلجات نفوسهم وإنما ليؤدوا بهذه الوسائل ألعابا منظومة فى تشـــطير أو تأريخ أو تطريز وما إلى ذلك .

" فجاء البارودى فوظف الشعر فى التعبير عن العواطف والمشاعر ، وأزاح هذه الحبـــل والعقد عن طريقه " [1] .

وترتد الكثرة الغالبة فيما نظمه البارودى من شعر إلى حاسة البصر مما جعل الدكتـــور محمد حسين هيكل يشير إلى تلك الظاهرة فى مقدمته التى كتبها لديوان البارودى إذ يقـــول : " إن البارودى قد اعتمد تصويره على حاسه النظر أكثر من اعتماده على سواها " [2] .

هذا بينما يرى الدكتور زكى نجيب محمود أن حاسة السمع عنده هى الأساس إذ يقول : " إنه حتى فى هذه الصور المرئية ظاهرا ، كان فى الحقيقة يستند إلى محصوله السمعى أكثر ممـــا يستند إلى رؤية العين ، فالعماد عنده هو الحاسة والحاسة عنده هى السمع والمسموع عنده هـــم القدماء " [3] .

وعلى الرغم من انتمائه إلى الطبقة الحاكمة ، لم يجد غضاضه فى أن يقول الشعر وقـــد وجد من الشعراء السابقين من يفوقه حسبا ونسبا مثل امرئ القيس وابـــن المعـــتز والشـــريف الرضى وأبى فراس الحمدانى وغيرهم .

وبذلك تفجر الشعر على لسان البارودى بما يتمثله من شعر الحماسة القديم وما يطوى فيه من فتوة ، وبما يتراءى له فى الأفق البعيد من أمجاد أسلافه المماليك الذين عصفوا بـــالصليبين والمغول ومزقوهم كل ممزق ، وبما يتراءى له من قريب من أمجاد أبيه وأمه وأقرانه فى حـــروب محمد على ، هؤلاء الذين ركزوا أعلام مصر على مشارف الشام وبلاد المغـــرب وفى ســـهول الأناضول [4] .

---

(1) فصول فى الشعر ونقده – د. شوقى ضيف ص ٢٧٢ .

(2) مقدمة ديوان البارودى جـــ ١ ص ١٤ .

(3) مع الشعراء د . زكى نجيب محمود ص ١٧٥ .

(4) البارودى رائد الشعر الحديث د. شوقى ضيف ص ٤٩ بتصرف .

تلك أهم صفات البارودى التى كان لها الأثر الكبير فى توجهه الشعرى ، وهى التى سمت به لتضعه على أعلى أرائك التجديد فى عصرنا الحديث ، بما أبدعه من شعر يمثل القمة العالية التى تجمعت فيها فصاحة اللفظ وبلاغة الأسلوب وصدق التعبير عن الشعور فى وزن آسر ونغم عذب وخيال محلق فى سماء البادية وهو على العموم شعر يختلف عن إبداعات العصور السابقة التى أسرفت فى الاهتمام بالألفاظ على حساب المعانى ولم تلق بالا للمشاعر والأحاسيس والعواطف الذاتية للشاعر .

ثقافته :

١ . يكمن العامل الأول فى ثقافة البارودى فى ملكتة الكامنة تلك التى صقلها وغاها بعكوفه على دواوين الشعر فى أزهى عصوره ، وكذلك كتب الأدب وطرائف القصص وأخبار العرب وقبائلهم وشجاعتهم وعدائيتهم وأمثالهم وحكمهم وغير ذلك مما لا يستغنى عنه مثقف أو أديب .

وقد كان البارودى ذا قدرة بارعة على الحفظ والاستيعاب ، بحيث يختزن فى حافظته الأعمال الخالدة التى تغص بالقيم الفنية التى ارتضاها ، فأثرت فى شعره حيث اجتمع له فيه " صفاء البحترى وموسيقاه ، وجزالة أبى تمام وإحكام نسجه ، ووصف المتنبى واعتزازه بنفسه " [1] .

٢ . لم يجلس البارودى إلى أستاذ أو معلم يتعلم منه العلوم والمعارف وإنما كان أساتذته فى تلك الكتب والدواوين التى انتقاها بعناية فهو عندما اختار ذهب إلى الشعراء العرب فى أزهى عصور الشعر فقرأ وقرأ وحفظ وحفظ ولم يلوث فطرته بأدب عصور الضعف والركاكه لذلك جاء نتاجه صورة مما قرأ وظهرت فى شعره أساليب وعبارات الجاهليين واضحة سافرة ، يبدو ذلك فى قوله : [2]

ولو علم الإنسان ما فيه نفعه ... لأبصر ما يأتى وما يتجنب

ولكنها الأقدار تجرى بحكمها ... علينا وأمر الغيب سرٌ محجب

نظن بأنا قادرون وإننا ... نقاد كما قيد الجنيب ونصحب

فرحمة رب العالمين على امرئ ... أصاب هداه أو درى كيف يذهب

---

(١) من الأدب الحديث فى ضوء المذاهب الأدبية والنقدية د . على على صبح ص ٣٠ ط ١ (١٩٨١) دار المريخ الرياض - السعودية .

(٢) ديوان البارودى ط ١ ص ٤٤ الجنيب : الفرس تقوده إلى جنبك والمراد نفى القدرة عن الناس .

حيث نلمح فى البيت الثانى ذلك المعنى الذى سبق به زهير فى قوله : [1]

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم

غير أننا لا نتفق معه فيما ذهب إليه فى البيت الثالث ، إذ أنه يرى أن الإنسان مسير لا دخل له فى أمور حياته ولكن النظرة الإسلامية المنصفه ترى غير ذلك .

ويذكر الشيخ حسين المرصفى الطريقة التى تثقف بها البارودى فيقول : " لم يقرأ البارودى كتابا فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل ، وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع إلى بعض من له دراية ، وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية ، ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات ، حسبما تقتضيه المعانى فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء حتى حفظ الكثير منها دون كلفة " [2] .

٣. اطلع البارودى على آداب أخرى غير الآداب العربية ، فعندما ذهب إلى الآستانة وهو فى شبابه ، والتحق بوزارة الخارجية عكف على دراسة اللغة التركية واللغة الفارسية ، فأتقنهما إتقانا هيأ له أن ينظم الشعر بهما ، كما كان ينظمه بالعربية بالاضافة إلى أنه تعلم الانجليزية وهو فى منفاه ، وترجم بعض آثارها وقد أثرت هذه اللغات المتعددة فى معانى الشاعر وأخيلته وتصويره لأحداث عصره [3] .

٤. تتلمذ البارودى على مدرسة جمال الدين الأفغانى ، وهى المدرسة التى غرست فى عقول تلاميذها ضرورة الإصلاح الإجتماعى ، وإيقاظ الوعى القومى حتى ينهض المواطنون بدوافع من داخلهم يدافعون عن حقوقهم ، ويقاومون من يقف فى طريقهم فى الداخل والخارج .

---

(١) شرح القصائد العشر للتبريزى ط ١ (١٩٨٥) ص ١٥٣ ط دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) الوسيلة الأدبية – حسين المرصفى ص ٤٧٤ .

(٣) تاريخ الأدب العربى لحنا الفاخورى ص ٩٦٠ .

ولا يخفى علينا أن الأحداث الجسام التى حفل بها عصر البارودى أتاحت له أن يعرف ما لم يكن يعرف وأن يرى مناظر جديدة عندما غص هذا العصر بالثورات والفتن والحروب والمعارك والنفى والتشريد الذى تعرض له الشاعر ومشاركته فى حرب كريت وحرب روسيا كل هذا أتاح لشاعريته أن تنطلق وأن تبدع فى كل اتجاه .

٥. ويضاف إلى تلك الموهبة النادرة ، والثقافات المتنوعة ، والتجارب الحافلة ، والرحلات المتعددة وراثة فى قول الشعر ونظمه وتجويده وقد سجلها فى قوله : ([1])

١. أنا فى الشعر عريق ... لم أرثه عن كلالة
٢. كان إبراهيم خالى ... فيه مشهور المقالة
٣. وسما جدى " على " ... يطلب النجم فناله
٤. فهو لى إرث كريم ... سوف يبقى فى السلالة

البارودى وعصره

نشأ البارودى جنديا فارسا بطلا ، فاستخدم قدراته فيما أملته الحوادث على مصر وشارك فيها بكل طاقاته وقدراته ، كما كان لتتلمذه على جمال الدين الأفغانى أثره فى غرس الحمية الوطنية ، والحرية والإباء فى نفسه ، فانعكست كل هذه الأخلاق على أعماله وأشعاره .

وظف البارودى قدراته ومعه كل الكتاب والشعراء فى إثارة حمية الشعب المظلوم لينهض فى وجه حكامه المستبدين حتى يدفعوا عنه الظلم وشاركه فى ذلك معظم المخلصين من مفكرى ومصلحى هذا العصر الذين يتقدمهم الإمام محمد عبده الذى يرى أن الشعوب تظل بخير ما بقيت قوة الربط بين أفراد الأمة ، فإذا ضعفت تداعى بنيانها للانحلال ، ثم بين أن الدين أعظم مقوم للخلق " [2] .

عاش البارودى فى هذه الظروف ، يرى أمامه نهضة قوية فى التعليم . ومكتبات عامة تيسر العلم لكل راغب فيه ، وصحفا تنبه الأذهان وتضئ العقول . وتعالج سائر المشكلات الشعبية ومطابع تعمل على إحياء التراث القديم ، وعلماء ينقلون إلى العربية كنوز العرب ، وحلقات علمية فى كل مكان توجه الفكر وتقود إلى الإصلاح الشامل .

([1]) ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٩٥ / ١٩٦ .

([2]) انظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د . محمد محمد حسين ص ٥٦ ، ٥٧ .

ولاشك أن هذه النهضة الأدبية قد ساعدت البارودى على أن يتبوأ مكانة فريـــدة فى عالم الأدب والشعر ذلك [1] : أن الشخصية التاريخية مهما عظمت وامتازت بعبقرية نادرة تدين بجزء من مكانتها إلى البيئة التى عاشت فيها ، فالكائن المستقل عما قبله وما بعده ، والـــذى لا يتأثر بشىء مما حوله لا يتأثر بشىء مما سبقه أو أحاط به لا عهد للعالم به حتى اليـــوم فالمصادفـــة محال ، ولا يوجد فى هذا العالم شىء إلا وهو نتيجة من جهة ، وعلة من جهة أخرى لعلة ســـابقة وعلة لأثر يتلوه " .

" لقد كان البارودى صدى لعصره – عصر ما قبل الثورة العرابيـــة ومـــا بعدهـــا – وترجمانا أمينا لمشاعر مصر فيه " [2] .

ولكن الدكتور عبد الحميد سند الجندى يرى أن هذا الإمام السباق ، م يعطنا صـــورة واضحة المعالم لعصره ولم نر فى شعره صدى للأحداث الوطنية الكبرى التى عاصرها ، فمع أنـــه كان من زعماء الثورة العرابية وقوادها العظام ، لم تظفر هذه الثورة منه بقصيدة يشـــيد فيـــها بمبادئها أو يستثير حماسة الأمة ويدعوها للالتفاف حول زعمائها ، ولكنه كان يقصر مشـــاركته فيها على دور القائد الحربى والوزير السياسى ليس غير " [3] .

والواقع أن هذا التقرير فيه إجحاف بدور البارودى ، ومشاركاته الشعرية فى أحـــداث وطنه ونرى ما يراه الدكتور خفاجى أن البارودى كان نبضا صادقا لمشاعر أمته فى كل ما نظمـــه من شعر وفى كل ما أسهم فيه من معارك .

أما عدم نظمه الشعر أثناء سخونة الأحداث واشتعال الثورات فمرجع ذلـــك إلى أن الثورات إنما تعتمد على الخطابة أكثر من الشعر فى خدمة مبادئها ، واجتذاب الجماهير إليـــها ، لأن الشاعر لا يستطيع أن ينظم وسط هياج الجماهير ، واشتعال مشاعره بالأحداث ، بل أنـــه يتعامل مع الأحداث بتؤدة وتمهل ، وبعد أن تنتهى وقائعها يتأمل أحداثها ، ويصوغها صياغـــة لا تنقصها العاطفة ولا تبتعد عن العقل .

---

(1) البارودى لعمر الدسوقى ص ٣١ .

(2) الأدب العربى الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم خفاجى ص ٦٧ .

(3) حافظ إبراهيم شاعر النيل د . عبد الحميد سند الجندى ص ٨٧ ط ٣ دار المعارف .

ويتفق هذا مع وجهة نظر العقاد الذى يقول : " إن الثورة عمل اجتماعى تناسبه الخطابة لأنها وظيفة اجتماعية ، وليس الشعر كالخطابة فى هذه الخصلة ، لأنه عمل فردى فى لبابه ، ولا سيما بعد ما ارتقى إليه الشاعر من الأطوار فى العصور الحديثة ، إذ ليس الشاعر اليوم بوقا من أبواق القبيلة ، كما كان عند الهمج الأوائل يغنى ويرتل معها ويقوم مقام النائحة فى أحزانها أو الشادية فى أفراحها " [1] .

إن البارودى أقام توازنا بارعا بين حياته الخاصة وبين حياة مجتمعه فى شعره . فلم يقتصر شعره على مشكلته الخاصة ، فيصبح بذلك شعرا ذاتيا محدود القيمة ، لأنه محدود مجال الرؤية ، ولم يقتصر شعره على تصوير مشكلات مجتمعه وهمومه العامة ، بحيث تختفى شخصيته المتميزة ، وتمحى معالمها ، وإنما اجتمعت فى شعره الجوانب الذاتية والاجتماعية وامتزجت امتزاجا لم يتهيأ مثله لكثير من الشعراء الذين خلفوه .

حيث إن الهموم والمشكلات الاجتماعية ، قد غلبت على شوقى وأصحابه فكان رد الفعل عند العقاد وزميليه شكرى والمازنى أصحاب مدرسة الديوانى ، أن غلبت حياتهم الذاتية ومشكلاتهم الخاصة على أشعارهم ، ولكن البارودى استطاع أن يكون رائداً للفريقين معا .

لقد كان البارودى من صنع عصره ، كما أنه يعد من صانعى عصره [2] . إذ أن شاعريته عندما اشتد نشاطها وظهر تأثيرها ، اشتدت صلته بالشعب وطموحاته وآماله . فغدا الشاعر ترجمانا يترجم عن الشعب وعواطفه ، وتحول البارودى من المشاعر الفردية إلى مشاعر الشعب الوطنية والسياسية والاجتماعية ، ويعد أول من فتح أمام الشعراء المعاصرين أبواب الشعر الاجتماعى والسياسى والوطنى على مصاريعها ، فصاروا يقتحمون هذه الموضوعات معبرين من خلالها عن نفوسهم وأهوائهم وآمالهم ، ويحسب للبارودى أيضا أنه روض الشعر العربى لينهض بالتعبير عن مشاعر الأمة والشعوب العربية بأسرها ، وكانت هذه المشاعر تصاغ قبله فى اللغة العامية ، فإذا به يفجر فى اللغة الفصيحة أقصى طاقاتها الأدائية بحيث تستطيع أن تعبر بقوة عن آمالنا وتفصح عن قضايانا خير إفصاح .

---

(1) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى – عباس العقاد ص ٩١ .

(2) محمود سامى البارودى لعمر الدسوقى ص ٣١ دار المعارف .

ويرى الدكتور شوقي ضيف " أنه لم يسبق البارودى فى عصرنا الحديث ، من وصل شعره بحياته وبيئته وقومه وعصره على نحو ما نبض به فى شعره ، فقد صور فيه حياته من جميع أطرافها كما صور حياة الشعب " [1] لقد صور البارودى الفساد الذى شاع أمره فى مصر ، واضطراب أحوالها ، والفزع الذى يملأ قلوب الناس من استبداد إسماعيل وتوفيق ، وإرهاقهما الأمة بشتى ألوان الأرهاق وتبديد مال الشعب الكادح على مظاهر خداعة وشهوات خاصة ، فتنبأ البارودى بالثورة قبل حدوثها ، وكان على صلة وثيقة بزعمائها وقادتها .

ويمثل شعر البارودى صورة صادقة لحياته وحياة قومه وحياة بيئته المصرية وكل ما تعرض له ، ومحاولة إصلاح شئونهم [2] ، واشترك فى الثورة العرابية ، وكان أحد زعمائها البارزين ، كما تولى رئاسه الوزراة سنه ١٨٨٢ م [3] .

وكثيرا ما صاح البارودى فى أبناء شعبه أن يثوروا لقهر ظالميهم والقصاص منهم [4] وهو وإن كان قد حيا توفيقا بولايته لمصر ، وهى فى الظاهر تحية وتهنئه وفى الحقيقة تنطوى على دعوة صريحة لتوفيق لإصدار الدستور ، ورفع المظالم عن الشعب [5] .

البارودى وثورة عرابى :

عندما تولى عثمان رفقى الشركسى وزارة الحربية والبحرية من قبل رياض باشا عمد عثمان رفقى إلى اضطهاد ضباط الجيش الوطنيين ، وحرمانهم من الترقى إلى المناصب الرفيعة ؛ بينما اختص أبناء جنسه الشركسى بتلك الرتب العليا ، الأمر الذى أثار حفيظة الضباط العرابيين .

لذلك طالب أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى بعزل عثمان رفقى وتعديل القوانين العسكرية والمساواة بين الضباط فى الجيش ولكن مجلس النظار قرر محاكمتهم ، واعتقلهم عثمان رفقى لكن زملاءهم لم يهدءوا حتى أطلق سراحهم .

---

(١) البارودى رائد الشعر الحديث د . شوقى ضيف ص ١٨٧ دار المعارف .

(٢) راجع ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٦ .

(٣) السابق جـ ٣ ص ١٥ وانظر من شعراء الوطنية للرافعى ص ١٨ .

(٤) ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٧ .

(٥) السابق جـ ١ ص ١٣٥ .

وفى هذه الظروف يشير البارودى على توفيق أن يستجيب لمطالب عـــرابى ، ويلـــبى توفيق مطالبه لكنه أدرك حقيقة نوايا البارودى ومدى اتفاقه مع عرابى وصحبه وأخذ توفيق يثـير الفتن فى الجيش ضد عرابى ، حتى تم عزل البارودى عن الوزارة بسبب الدس والوقيعة وفى ذلك يقول البارودى : [1]

نقموا على حميتى فتالبـــوا حزباً علىّ وأجمعوا ما أجمعوا
وسعوا بفريتهم فلما صادفوا سمعا يميل إلى الملام توسعوا

وأخذت الظروف تنتقل من سيئ إلى أسوأ ، والآمال تنهار أمام العيون حـتى نشـبت ثورة عرابى فى ٩ سبتمبر سنه ١٨٨٢ م ، وامتلأت قلوب المصريين بالأمل فى حكـــم عـادل يسقط عنهم الظلم ويرفع عنهم الطغيان [2] .

كنا نودّ انقلابا نستريح بـــه حتى إذا تم ساءتنا مصايـــره
لعل بلجة نور يستضاء بـــها بعد الظلام الذى عمت دياجـرة
إنى أرى أنفساً ضاقت بما حملت وسوف يشهر حد السيف شاهرة

وأخفقت الثورة على غير ما كان يتوقع زعماؤها ، لأن كل عوامـــل نجاحـها كـان موجودا لكن " عرابى " طعن من الخلف بأسلحة الخونة والغادرين الذين اندسوا وسط الثـــوار ووقفوا على مواطن الضعف التى يتسللون منها لتقويض الثورة وأهدافها ، وبذلك انطفأ الأمـــل الذى طمح إليه عرابى وزملاؤه ولم يكن جزاء هؤلاء القادة بعد ذلك إلا السجن .

البارودى فى السجن :

وصف البارودى السجن الذى نزل به لأول مرة فى حياته ، وكانت تجربة قاسية مر بها وقد كان رئيسا للوزارة ، فاغتنم الفرصة وسجل هذه التجربة فى تلك القطعة التى تعد نموذجـــا للأدب الواقعى وتمثل صورة دقيقة للسجن دون خيال ولا مبالغة يقول فيها : [3]

لا أنيس يسمع الشكـــوى ولا خبر ياتى ولا طيف يـــــمر
بين جدران وباب موصـــــد كلما حركه السجان صـــــر

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٠٩ .
(2) السابق جـ ٢ ص ١٢٧ .
(3) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٠٢ .

يتمشى دونـــــه حتـى إذا لحقته نباة منى اســتـــــقر
كلما درت لأقضى حاجـــــة قالت الظلمة مهلا لا تـــدر
أتقرى الشيئ أبغيه فـــــلا أجد الشيئ ولا نفسى تـــقر
ظلمة ما إن بها من كوكـــب غير أنفاسٍ ترامى بالشـــرر
فاصبرى يا نفس حتى تظفرى إن حسن الصبر مفتاح الظفر
هى أنفاس تفضى والفـــتى حيثما كان أسيرٌ للـــــقدر

هذه الظلمة الكثيفة ، وهذا الاغتراب النفسى والجسدى والزمـــانى والمكـــانى وهـــذا العذاب كان جزاء الشاعر الذى أحب وطنه ، وأراد له الحرية والحياة المطمئنة وطالب بها حكام وطنه فكان جزاؤه السجن ثم النفى والتشريد .

ومع كل هذا فهو فى النهاية يحاول أن يسلى نفسه ، ويصبرها حتى تظفر بالفرج الـذى يحالف الصابرين فى نهاية المطاف .

لكن ذلك لم يمنع البارودى أن يبكى حظ مصر ، وأن يسخط على حكامها الظـالمين فى قوله : [1]

وما مصر عمر الدهر إلا غنيمة لمن حل مغناها ونهب مقسم
تداولها املاك من كل أمـــــة ونال بها حظـا فصيح وأعجم
فما أهلها إلا عبيد لمن ســـطا ولا ربعها إلا لمـــن شاء مغنم

وبعد هذا العرض عن علاقة البارودى بعصره نستطيع أن نقرر – كما يرى العقـــاد – " أن الفضل الذى له على عصره ، أكبر من الفضل الذى لعصره عليه ، فما جاء به من عنـــد نفسه لا يقاس إليه ما يجئ من قدرة معاصريه " [2] .

---

(1) ديوان البارودى جـ ٣ ص ٥٦٢ وعمر الدهر : مدى الزمان والغنيمة : ما يـأخذه المحـاربون مـن أمـوال أعدائهم وعتادهم قوة وقهرا والمراد أن خيرات مصر نهب للأجانب تداولهـا المـلاك : أى تنـاوبوا ملكيتـها والفصيح والأعجم : أى العرب والعجم ومعنى الأبيات : أن مصر طوال عمرها مغلوبة على أمرها متداولة بـين حكام من غير أهلها وهى مرتع خصيب للوافدين من كل جنس ولون يستعبدون أهلها وينهبون خيراتها .

(2) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى – عباس العقاد ص ١٤٨ .

دوافع اتجاه البارودى للشعر الوطنى :

تازرت عدة عوامل ، فى حياة البارودى ، فوجهت طاقته الشعرية للشعر الحماسى والوطنى ، وقد تضافرت كل الظروف وتهيأت كل البواعث لتغذية دوافعه للنظم فى هذا العرض ونستطيع أن نرصد من تلك الدوافع ما يلى : —

١. معايشته الدائمة للحياة العسكرية ، وممارسة الأعمال الحربية ، حيث إنه كان قد دخل المدرسة الحربية سنه ١٨٥٠ م وتخرج منها سنه ١٨٥٤ ومن حسن الحظ أنه كان قد بدأ ولعه بالشعر قبل ذلك ، إذ أن اندماجه فى الحياة العسكرية كان كفيلا بأن يستغرق كل فكره ومشاعره ، فلا يبقى لديه وقت للشعر والأدب ، ولأن ولاة الأمر حينذاك كانوا قد اتخذوا من التركية لغة وبيانا ، ولم يهتموا بالعربية فضلا عن محاربتها .

ومن المؤكد أن هناك فرقا بين أن يستشعر الشاعر معانى الوطنية والفروسية عن طريق التصور والخيال ، وبين أن يستشعرها عن طريق الحقيقة والواقع ، والبارودى منذ نشأته ، فارس يتمتع بمواهب الفرسان والأبطال ، بالإضافة إلى أنه كان يتمتع برجاحة العقل وسداد الرأى والوجاهة فى قومه إذ يقول : [1]

أنا ابن الوغى والخيل والليل والظبا ... وسمر القنا والرأى والعقد والحل
فقل للذى ظن المعالى قريبة ... رويدا فليس الجد يدرك بالهزل
فما تصدق الآمال إلا لفاتك ... إذا هم لم تعطفه قارعة العذل

وقد جمع فى البيت الأول كل مناقبة ومفاخرة فى الحرب والسلم وذكر فيها أنه لم يركب متن الشطط والمغالاة بل ذكر صفاته الواقعية فهو فارس محارب شديد البأس صلب المراس يقتحم الظلماء ويصول فى الهيجاء معتمدا على عدته وسلاحه لايبالى المخاطر والمخاوف ، ولا يكترث للأهوال والشدائد .

أما فى البيت الثانى فقد نصح من يظن دنو الآمال دون كفاح بأنه واهم فى ظنه لأن الأمانى لا تتحقق إلا للرجل الجرئ الشجاع .

---

(١) ديوان البارودى جـ ٣ ص ٧٩ .

٢. رقة شعوره ورهافة حسه ، وتأثير الأحداث فيه وفى أمثاله ممن يتصفون برقة المشاعر والأحاسيس ، بصورة أقوى أثرا وأبعد مرمى من تأثيرها فيمن سواه .

ذلك أن الفنان يتلقى الأحداث بصورة مكبرة ، فيحس تأثيرها أنكى وأشد من سواه لأنها إنما تؤثر فى الناس بقدر ما يتمتعون به من حس إنسانى ، ويقظة عاطفية وحيوية إنسانية تجاه الأحداث .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن البارودى قد تعرض لكل أحداث الوطن تعرض ممارسة ومشاركة ، لا تعرض قراءة ومشاهدة ، أدركنا إلى أى حد أسهمت هذه الأحداث من الحروب التى خاضها ،والصراعات التى شارك فيها ،والرحلات التى سافر إليها ، والمناصب التى تقلدها ، والتقلبات التى حدثت فى السياسة المصرية والتى كان البارودى فى أتونها ، كل ذلك أثر فيه ووجهه نحو الوطن يدافع عنه ويتبنى قضاياه ، ويتغنى بجمال طبيعته ، مما يبعث فى النفوس الحب له والفناء فى سبيله والتضحية من أجله .

ومن نماذج إشادته بطبيعة مصر الخلابة ، ومشاهد الطير والأشجار والنبات قوله يصف القطن الذى تشتهر به مصر فى جماله وهو على سوقه [1] .

والقطن بين ملوز ومنور ... كالغادة ازدانت بانواع الحلى
فكان عاقدة كرات زمرد ... وكان زاهرة كواكب فى الروا
دبت به روح الحياة فلو وهت ... عنه القيود من الجداول قد مشى
فاصوله الدكناء تسبح فى الثرى ... وفروعه الخضراء تلعب فى الهوا

ذلك أن وصف الطبيعة بهذه الصفات التى تذوب فيها حبا وتغرس فى نفس المتلقى صورة مما فيها لا يتأتى إلا من شاعر مفعم المشاعر بما يقول .

٣. تقلبه فى مناصب الدولة ، وقد كان ذا حظوة لدى اسماعيل فاتخذه كاتم سره ، وبعثه إلى الآستانة فى رحلتين سياستين فى مهمات خاصة ، وظل البارودى اثنتى عشرة سنة بجوار اسماعيل ، وعندما أعلنت روسيا الحرب على تركيا سنه ١٨٧٨ سافر البارودى ضمن

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ٣٦ والغادة : المرأة الناعمة اللينة ، والحلى : ما تتزين به المرأة من الجواهر الثمينة ، والعاقد : ما انعقد من اللوز قبل أن ينفتح والزمرد : الزبرجد وزاهر : أبيض مضئ والروا أصله الرواد أى حسن المظهر ، وهت : ضعفت جعل جداول الماء حول نبات القطن قيودا وقال : إن روح الحياة قد سرت فيه ، ولو انفكت عنه هذه القيود لمشى ، والدكناء : لون يضرب إلى السواد والثرى : الأرض والتراب الندى .

الجيش الذى أرسله اسماعيل ليعاون الخليفة ، فأبلى فى هذه المعارك البلاء الحسن فرقى إلى رتبة اللواء ونال عدة أوسمة ورأى فى ميدان القتال وما وقع تحت بصره وسمعه ما ألهب شاعريته ، وغرس فى روحه حب الوطنية ، وتوظيف جهوده فى الدفاع عنها .

وعاد من حروب البلقان وهو فى سن الأربعين فعين مديراً للشرقية ، ثم محافظا للعاصمة ، ثم ساءت أحوال الناس فى أواخر عهد اسماعيل وكثرت الضرائب كثرة لا تطاق وخصوصا على الأرض الزراعية حيث بلغت ضريبة الفدان ما يقرب من ثمنة مما أدى إلى أن يترك الفلاحون أرضهم [1] .

وجاء توفيق وكان البارودى من المقربين إليه فولاه وزارة الأوقاف ثم أضيفت إليه وزارة الحربية ، ثم تولى البارودى رياسة الوزارة فى ٤ فبراير ١٨٨٢ م وكان عرابى وزيرا للحربية فى هذه الوزارة .

وأيا كان الأمر فقد كان لكل هذه المناصب التى تقلدها أثرها الكبير فى غرس بذور الوطنية فى نفسه وفى شاعريته الأمر الذى حكم توجهه الشعرى وصوبه نحو قضايا الوطن فيما بعد

٤. ومن الأمور المهمة التى كان لها الأثر فى تكوين شخصية البارودى وتوجهه نحو الوطن وتبنى قضاياه ، عنصر البيئة المصرية التى اضطربت فى مشاهدها الطبيعية وأحداثها القومية والسياسية ، وقد أثرت هذه البيئة فى روحه وكيانه الأدبى ، بل لقد استبدت به استبداداً حتى غدا فى القرن المنصرم شاعر مصر الذى لا يبارى فى تصوير الحياة المصرية ، من جميع أطرافها ، بحيث لا يرقى له أو يدانيه شاعر سواه ، سواء فى تأثره بأحداث مصر ، أو فى قدراته الشاعرة ، أو فى تمكنه من أدوات الشعر وألوان البراعة فيه .

وكان فى قراره نفسه يستشعر مجد آبائه المماليك الذين حكموا مصر كما كان يستشعر مجد وطنه ، وما كشفه علم الآثار المصرية من هذا المجد ، وقد أتيح له أن يصور هذا الشعور فى قصيدة وصف بها الهرمين وهى القصيدة التى يرى د . شوقى ضيف [2] أنها أول قصيدة حديثة ، فى آثارنا الفرعونية ومما يقوله فيها [3] :

---

(1) انظر الأدب الحديث عمر الدسوقى جـ ١ ص ٧ ص ١٧٢ دار الفكر العربى سنه ١٩٦٦ .

(2) الأدب العربى المعاصر فى مصر د . شوقى ضيف ط٧ (١٩٧٩) ص ٨٧ .

(3) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٤٧ .

سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر ... لعلك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناءان ردا صولة الدهر عنـــــهما ... ومن عجب أن يغلبا صولة الدهـر
أقاما على رغم الخطوب ليشـــهدا ... لبانيهما بين البرية بالفـــــخر
فكم أمم فى الدهر بادت وأعـــصر ... خلت وهى أعجوبة العين والفـكر
فما من بناء كان أو هـــــو كائن ... يدانيهما عند التامل والخـــبر
فلو أن " هاروت " انتحى مرصديهما ... لألقى مقاليد الكهانة والســـحر

٥. رحلات البارودى العسكرية ، حيث أوفد إلى فرنسا مع فرقة من الضبـــاط ليشـــاهدوا الاستعراض السنوى للجيش الفرنسى ، وعبر " المانش " مع رفاقه إلى انجلترا ليشـــاهدوا بها بعض الأعمال العسكرية ، والآلآت الحربية وهو فى خلال ذلك يردد بصره فى المناظر الطبيعية المبثوثة فى البلدتين ، كما يردده فى صورة الحضارة العربية ، ورجع إلى مصـــــر لتمتلئ نفسه بهجة بما فيها من قيم وثورات ، عززت فى نفسه قيمة الدفاع عنها [1] .

كما أن اختيارات البارودى التى أكب عليها قراءة وحفظا واســـتظهارا ، ومعظمـــها ينتمى إلى الجاهلية والعصر الأموى والعباسى ، كانت كلها نتاج شـــعراء يعـــتزون بعروبتـــهم وقيمها الأصيلة الأمر الذى انتقل عدواه إلى البارودى . فنشأ وقد نمت فيه قيم العروبة ومصـــر والإسلام ، مما جعله بعد ذلك يتجه بنتاجه لإرساء هذه القيم وغرس محبة الوطـــن فى قلـــوب مواطنيه.

كما أن اشتراك البارودى مع الفرقة المصرية فى الحروب العثمانية بكريت وفى البلقـــان ، جعل من الضرورى أن يتفجر الشعر الحماسى ، من قلبه وشعوره ، على لســـانه ، وأن يعـــود بشعر الحماسة إلى قوته القديمة ، فهو من جهة ضابط يحارب فى معارك دامية ، ومن جهة أخـرى يرسل نفسه على سجيتها ليعبر عن خواجه أثناء هذه المعارك وليشد من عزمه وعـــزم إخوانـــه المقاتلين [2] .

([1]) انظر البارودى رائد الشعر الحديث د . شوقى ضيف ص ٥٣ ط ٣ دار المعارف .
([2]) انظر الحماسة أحمد بدوى وآخرون ص ١٣٥ جـ ١ .

الفصل الثانى

اتجاهات الشعر الوطنى
عند البارودى

١. فى مصر وآثارها .
٢. استنهاض الهمم والعزائم .
٣. جهاده ومناهضته للاستبداد .
٤. فى المنفى .

إتجاهات الشعر الوطنى عند البارودى

حلقت قريحة البارودى الشاعرة ، فى كل الجوانب الوطنية ، وتنوع نتاجه وشمل كل ما يمت إلى هذا الموضوع بصلة ، فهو يصف الطبيعة المصرية والريف المصرى بكل ما فيه من ألوان الجمال ، وصفا يبعث فى النفوس الإعجاب بتلك الطبيعة ويحمل المواطنين حملا على الدفاع عن ترابها وآثارها وجمالها ، كما نظم البارودى كثيرا من الشعر الذى صور فيه ألوانا من دفاعه عنها ، وما تعرض له بسبب هذا الدفاع عن حرية الشعب وكرامته ، كما نرى له شعرا سياسيا يدعو فيه القادة ومن بيدهم مقاليد الأمور إلى الانحياز للشعب ودستوره ومجلسه النيابى ، فى الوقت الذى يحارب فيه الأعداء وأصحاب النفوس المريضة ممن يمالئونهم فى الداخل والخارج كما أسهم كثيرا فى استنهاض الهمم والعزائم لبناء الوطن وإعلاء شأنه ، ونرصد هنا بعض هذه الاتجاهات : —

١. فى مصر وآثارها .

شغف البارودى منذ طفولته ، بحب الطبيعة والهيام بها ، الأمر الذى هيأ لتصوير البيئة المصرية بكل ما فيها من جمال الريف ، بزروعه ونخيله وخضرته وكان دائما يتغنى بروضة المقياس ، بحسبانها ملعب صباه ، ومولد حبه وهواه :

أرض كساها النيل من إبداعه ... ولباسه الموشى أى لباس [1]

فكأنما هوت المجرة بينها ... فتشكلت فى جملة الأغراس [2]

يتلهب النوار فى أطرافها ... فتخاله قبسا من الأقباس [3]

لولا مساس الطل أحرق ضوءه ... ديل الخمائل رطبها والعاس [4]

---

(١) روضة المقياس: جزيرة جميلة طيبة الهواء فى نهر النيل شرقى الجيزة،غربى مصر القديمة فى جنوبها مقياس يقاس به ماء النيل . وإياس بن معاوية المزنى ، المضروب به المثل فى الألمعية والفطنة والذكاء وصدق الفراسة وقد ولى قضاء البصرة . ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٤٩ والموشى : المنقوش المزخرف المختلف الألوان .

وأى : فى مثل هذا الموضع تفيد التعظيم والتفخيم ، وهو يشير إلى ما أنبته النيل من أنواع النبات .

(٢) المجرة : نجوم كثيرة بتدو فى السماء دقيقة متقاربة والأغراس : الشجر المغروش والشاعر يتخيل السماء وقد هوت بمجرتها ونجومها على هذه الروضة لكثرة ما بها من أزهار مشرقة .

(٣) يتلهب : يتقد والنوار : الزهر والقبس : الشعلة من النار يصف زهرها بالإشراق .

(٤) مساس : لمس والطل : المطر الضعيف والعاس : اليابس الجاف .

تصبو العيون إلى سناه فترتمى مهوى الفراشة لا مع النبراس [1]

لو شام بهجتها وحسن روائها فيما أظن لحار عقل إيـــاس

والبارودى فى وصفه يثير فى نفس المتلقى مشاعر مشابهة لمشـــاعره لشـــدة امتلائـــه بموضوع وصفه وخاصة إذا كان متعلقا بالطبيعة المصرية ، التى كان يجد فيها ملاذه ويفر إليـــها من متاعب السياسة ودنيا الكفاح والجهاد .

وهو يعد – بحق – طليعة شعرائنا الوجدانيين الذين خلعوا مشـــاعرهم وأحاسيســـهم على ماحولهم من عناصر الطبيعة ونذكر هنا مقطوعة شعرية يصف فيها طائرا قد وقـــف علـــى غصن فى أيكه ، قلقا فزعا لا يكاد يستقر من القفز والحركة ، وكان والبارودى قد أخذته ســـنة من النوم فأيقظته حركة الطائر القلق ، فوصف هذا المنظر ، وتغلغل داخل الطائر ليكشف عـــن نفسيته ويتعرف على سر قلقه ، والمقطوعة برهان قوى على قدرة الشاعر الفائقة فى التصويـــر والدقة فى تسجيل أدنى مظاهر الطبيعة وذلك راجع لفرط إحساسه بموضوع وصفه إذ يقول :[2]

ونباة أطلقت عينى من ســـــنة كانت حبالة طيف زارنى سحـــرا [3]

فقمت أسال عينى رجع ما سمعت أذنى فقالت ، لعلى أبلغ الخـــبرا [4]

ثم أشرأبت فألفت طائرا حـــذرا على قضيب يدير السمع والبصرا [5]

مستوفزا يتنـزى فوق أيكـــــته تنـزى القلب طال العهد فادكـــرا [6]

لا تستقر له ساق على قـــــدم فكلما هدأت أنفاسه نـــــــفرا

يهفو به الغصن أحيانا ويرفـــعه دحو الصوالج فى الديمومة الاكرا [7]

ما باله وهو فى أمن وعافـــــية لا يبعث الطرف إلا خائفا حـــذرا ؟

إذا علا بات فى خضراء ناعـــمةٍ وإن هوى ورد الغدران أو نـــقرا

---

(1) تصبو : تميل ومهوى : مسقط والفراشة : حشرة تطير وتتهافت على السراج .

(2) الديوان جـــ ٢ ص ١٠٤ .

(3) النبأة :الصوت الخفى والسنة: النعاس ، والحبله : المصيدة والطيف:الخيال الطائف فى المنام والسحر: الوقت قبيل الفجر .

(4) المعنى : أننى انتبهت فسألت عينى أن ترد إلى ما سمعته أذنى أى جعلت أبحث بعينى عن مبعث الصوت .

(5) اشرأبت : ارتفعت ، ألفت : وجدت ، قضيب : غصن .

(6) مستوفزا : غير مستقر قد هيأ للوثوب والطيران ، يتنـــزى : يثب ، الأيكة : الشجرة الكثيفة والمعنى إن هذا الطائر يتنقل وثيب وثوب قلب الإنسان الذى طال عليه فراق أحبابه فخفق واضطرب .

(7) يهفو : يميل ويهتز والدحو مصدر دحا اللاعب الكرة دفعا ورماها بيده والصولجان : عصا معوجه يعقف طرفها وتضرب بها الكرة وجمعه صوالجه ، والديمومه : الأرض المستوية والأكر : جمع أكرة هى الكرة .

وفى الأبيات يصف البارودى حركة الطائر الحسية والنفسية وصفا دقيقا للغاية وقد استطاع أن يرسم كثيرا من الصور الجزئية خلال تصويره ، وما أجمل ألفاظه المعبرة فى البيت الرابع ، وتشبيه حركة الطائر فى رشاقته وعدم استقراره بحركة قلب العاشق الذى يضطرب دائما ولا يهدأ .

ويمثل هذا التصوير البديع أبدع البارودى كثيرا فى وصف الطبيعة المصرية التى هام بها مثل قصيدته " وصف غيضة " ومطلعها : [1]

ومرتبع لذنابه غب سحرة ... وللصبح أنفاس تزيد وتنقص

وقصيدته فى " وصف ليلة ممطرة " وفيها يقول " [2]

إن سرتُ ساروا وإن أصعد إلى النشر ... كانوا صعودا وإن أهبط بهم هبطوا

وغير ذلك كثير [3] .

أما عظمة مصر وآثارها الخالدة ، وأمجادها التليدة والحديثة ، فطالما تغنى بها البارودى خصوصا بعد أن كشف العلم الحديث للآثار هذا المجد الباذخ ، فصور شاعرنا هذا الشعور فى قصيدة يتحدث فيها عن آثارنا الفرعونية ، رغبة منه فى أن يلفت نظر المصريين إلى روائع وطنهم ، وهذه القصيدة يعدها الدكتور شوقي ضيف [4] أم الشعر الفرعونى الحديث عند شوقى وأضرابه ممن تغنوا بأمجاد الفراعين واحتفوا بتاريخنا القديم ومطلع القصيدة يقول فيه : [5]

سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر ... لعلك تدرى غيب مالم تكن تدرى [6]

بناءان ردا صوله الدهر عنهما ... ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر [7]

أقاما على رغم الخطوب ليشهدا ... لبانيهما بين البرية بالفخر

فكم أممٍ فى الدهر بادت وأعصرٍ ... خلت وهما أعجوبة العين والفكر [8]

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٦٧ - ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٧٦ .

(2) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٩٤ .

(3) راجع الديوان جـ١ ص ٣٦ ، ص ٧٩ ، جـ ٣ ص ٥٦٢ .

(4) البارودى رائد الشعر الحديث د. شوقى ضيف جـ ٣ دار المعارف ص ١٦٣ .

(5) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٤٧ .

(6) الفيحاء : الواسعة ، وهرما مصر : على مقربة من مدينة الجيزة فى جنوبها الغربى وهما من عجائب الدنيا شيد أكبرهما " خوفو " وشيد الثانى " خفرع " وهما من ملوك الأسرة الرابعة من ٢٩٠٠ - ٢٧٥٠ ق.م ومعنى الشطر الثانى لعلك ما غاب عنك من أحوال الأقدمين .

(7) يشير إلى بقائها على الرغم من تقلب الأيام وكر العصور .

(8) بادت : هلكت وزالت والأعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان وخلت : مضت والأعجوبة : الأمر الذى يتعجب منه .

ويزداد قلق البارودى على مصير بلاده فى ظل اسماعيل الذى ورط البلاد مع الـــدول الأجنبية ومن حسن الحظ أن وصل إلى مصر سنه ١٨٧١م السيد جمال الدين الأفغـانى الـذى حمل حملة شعواء على اسماعيل وبطانته ، فالتف حول الأفغانى معظم الوطنيين يتقدمهم البـارودى وأخذ الجميع يصبون جام غضبهم وسخطهم على الحكام المستبدين ، ولكن يأس البارودى مـن القضاء على اسماعيل وبطانته جعله يجتر أسفه ويمتلئ حسرة على الدهر والناس وخاصة أذنـاب الطغاة بما يصطنعونه من وشاية وسعاية فعمل على مداراتهم إذ يقول : [1]

مداراة الرجال أخف وطئاً ... على الإنسان من حرب الفساد
وما كان العداء يخف لولا ... أذى السلطان أو خوف المعاد
فطوبى لامرئ غلبت هواه ... بصيرته فبات على رشـــاد

وعندما تولى توفيق السلطة فى يونيو سنه ١٨٧٩م أخذ يهنئه ويحييه تحية تنطوى علـى دعوته ليصدر الدستور ، ويدعوه لعقد مجلس شورى النواب ، ويسقط عن ظهر الشعب أعبـاء الظلم وأوزاره ، وجاء حديثه فى هذا المقام كأن مطالبه قد تحققت بالفعل إذ يقول : [2]

سنّ المشورة وهى أكرم خـطة ... يجرى عليها كل راع مرشـد
هى عصمة الدين التى أوحى بها ... ربّ العباد إلى النبى محـمد
أمران ماجتمعا لقائد أمـــة ... إلا جنى بهما ثمار السـؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينـهم ... شورى وجند للعدو بمرصـد
هيهات يحيا الملك دون مشـورة ... ويعز ركن المجد ما لم يعمد
فالسيف لا يمضى بدون رويّـة ... والرأى لا يمضى بغير مهند
ولأنت أول من أفاد بعدلـه ... حرّية الأخلاق بعد تعـبد
أطلقت كل مقيد وحللت كـا ... ل معقد وجمعت كل مبدّد
وتمتعت بالعدل منك رعـية ... كانت فريسة كل باغ معـتد

ونحس من خلال الأبيات بأن البارودى يريد أن يأخذ على توفيق عهداً وميثاقـا بـأن يصدر دستور البلاد ، ويجمع مجلس نوابها ، ويترك للأمة تدبير شئونها ، وهو يـرى أن الحكـم

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ٢٤٨ .
(٢) السابق جـ ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

ينبغى أن يكون شورى ، ويلفت نظر توفيق إلى الدين ، والدين أمر بالشورى ومن حـــاد عنـــه تنكب طريق الهدى والصواب .

وعندما أرسلت مصر جيشا لأخماد الثورة التى هبت فى جزيرة كريت ضـــد الدولـــة العثمانية كان البارودى أحد ضباط هذه الفرقة التى ذهبت لكريت ، وما كاد يلمس بقدمه هذه الجزيرة حتى هفا به الحنين إلى مصر ، فنظم قصيدته : [1]

سرى البرق مصريا فارقنى وحدى ... وأذكرنى ما لست أنساه من عهد

ويحن البارودى إلى أبناء بلده مصر ، عندما طال غيابه واشتد حنينـــه ولوعتـــه أثنـــاء حرب الروس مع الدولة العثمانية فينظم قصيده يرسل بها إلى الأستاذ الشيخ حسين المرصفى [2] يقول فيها : [3]

ولكن إخوانا بمصر ورفـــــقة ... نسونا فلا عهد لديهم ولا وعـــد
أحن لهم شوقا على أن دونـــنا ... مهامه تعيا دون أقربها الربـــد
فيا ساكنى الفسطاط ما بال كتبنا ... ثوت عندكم شهرا وليس لـها رد
أفى الحق أنا ذاكرون لعهدكـــم ... وأنتم علينا ليس يعطفـــكم ود
فلا ضير إن الله يعقب عـــودة ... يهون لها بعد المواصلة الصـــد
فلا تحسبونى غافلا عن ودادكم ... رويدا فما فى مهجتى حجر صلد

وفى سنه ١٩٠٠ عفا الخديوى عباس حلمى الثانى عن البارودى فعاد إلى وطنـــه ، ورد إليه عباس أملاكه المصادرة ، ولكنه لم يرد إليه شبابه وزوجه وأصحابه الذين قضوا نحبهم خـلال نفيه ، ورحبت به مصر أيما ترحيب ، وقد تأثر الشاعر بما رآه فى مصر مـــن آثـــار الاحتـــلال الانجليزى البغيض فتوجع لها ولمصابها الأليم وعزف على قيثارة قصيدته البديعة : [4]

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع ؟ ... هيهات قد ذهب المتبوع والتـــبع
هذى الجزيرة فانظر ترى أحـــــدا ... ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع

---

(1) ديوان البارودى جـ ص ١٥٦ .

(2) الشيخ حسين بن أحمد المرصفى ، عالم لغوى أديب تعلم فى الأزهر ونبغ فى علوم اللغة العربية وآدابها ثم اشتغل بتدريســها فى الأزهر ودار العلوم وهو من أوائل الأفذاذ الذين ردوا للعربية بهاءها ومن تلاميذه البارودى وحفنى ناصف وعبــد الله فكرى وغيرهم وقد توفى سنه ١٣٠٧ هـــ - ١٨٨٩ م .

(3) ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٦١ .

(4) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ .

أضحت خلاء وكانت قبل منـــــزلة للملك منها لوفد العز مرتـــبع
فلا مجيب يرد القول من نـــــبا ولا سميع إذا ناديت يستـــمع
دارت عليهم رحى الأيام فانشعـبوا أيدى سبا وتخلت عنهم الشـيع
أين المعاقل بل أين الجحافل بـــل أين المناصل والخطية الشـــرع
لاشئ يدفع كيد الدهر إن عصـــفت أحداثه أو يقى من شر ما يقـــع

وأخيرا وبعد سبعة عشر عاما قضاها فى المنفى ، عاد إلى وطنه ، وكاد قلبه يقفز فرحـــا بعودته ، فأخذ ينشد متغنيا بمصر : [1]

أبابل رأى العين أن هذه مصـــر فإنى ارى فيها عيونا هى السـحر
فليس لعقل دون سلطانها حمى ولا لفؤاد دون غشيانها ســـتر
فإن يك موسى أبطل السحر مرة فذلك عصر المعجزات وذا عـصر
فأى فؤاد لا يذوب صبابـــــة ومزنة عين لا يصوب لها قـــطر

وبمثل هذا التناول الشعرى الآسر ، نجد البارودى مفتونا بحب مصر : ريفها وطبيعتـــها وآثارها ، وقد استطاع أن يزيدها بشعره جمالا فوق جمالها ، مما بعث فى نفوس مواطنيها الحـــب لها والدفاع عنها والتضحية فى سبيلها ، وتلك أعلى آيات الوطنية الصادقة .

٢. استنهاض الهمم والعزائم ،

عندما تولى البارودى الوزارة فى عهد توفيق ، اشتعلت ثورته وازداد توهجا وانضـم إلى عرابى مع الثوار ، وأخذ ينشد الشعر يحفز به همم الشعب نحو بناء الوطن والدفاع عنـــه ضـد أعدائه وحكامه المستبدين ومن قوله : [2]

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصـــة وفى الدهر طرق جمة ومنافـــع
أصبرا على مس الهوان وأنتـــم عديد الحصى إنى إلى الله راجـع
وكيف ترون الذل دار إقامـــــة وذلك فضل الله فى الأرض واسـع
أرى رؤسا قد أينعت لحصـــادها فاين - ولا أين - السيوف القواطع
فكونوا حصيدا خامدين أو افزعوا إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٣٠ .
(2) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢١١ .

والبارودى – فى هذه الأبيات – يحث قومه على اليقظة والثورة ، وانتهاز الفرصة والعمل المثمر الجاد ، لكسب المنافع بشتى لطرق ، ولكنه – وقد يئس منهم – أخذ يرميهم بموت صفات الرجولة فيهم ، ويتمنى لو وجد السيوف التى تقطع رءوس هؤلاء الهمل، ولما لم يجد لدعوته سميعا ولا مجيبا عاد يجتر أسفه وأساه : [1]

أهبت فعاد الصوت لم يقض حاجة ... إلىّ ولبانى الصدى وهو طائع
فلم أدر أن الله صور قبلكم ... تماثيل لم يخلق لهن مسامع
فلا تدعو هذى القلوب فإنها ... قوارير مَحْنِيٌّ عليها الأضالع

والبارودى كثيرا ما يدعو إلى اختراق الأهوال حتى فيما ساقه من حكم ، لأن اقتحام المخاطر هو الأسرع فى الوصول إلى النتائج . [2]

دع المخافة واعلم أن صاحبها ... وإن تحصن لا ينجو من الغيل
لو كان للمرء علم يستدل به ... على العواقب لم يركن إلى الحيل

ويحاول البارودى أن يدفع الشعب إلى قهر ظالميه والاقتصاص منهم ، إذ يهاجم تسلط الحكام المستبدين على مصر ، حيث إن استاعيل أفسح للدول الأجنبية أن تتدخل تدخلا سافرا فى شئونها ، وارتضى فرض الرقابة الأجنبية على شئون البلاد المالية يتولاها رقيب انجليزى وآخر فرنسى وما زال هؤلاء ينحون بالظلم على مصر حتى أظلمت من كل جانب ، ويئس الناس من انكشاف ظلمة هذا الليل الطويل [3] .

لم أدر ما حلّ بالأبطال من خور ... بعد المراس وبالأسياف من فلل
أصوحت شجرات المجد أم نضبت ... غُدْرُ الحمية حتى ليس من رجل
لا يدفعون يدا عنهم ولو بلغت ... مس العفافة من جبن ومن خزل
فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم ... ولا تزول غواشيكم من الكسل
فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا ... شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وقلدوا أمركم شهما أخا ثقة ... يكون ردءاً لكم فى الحادث الجلل
وطالبوا بحقوق أصبحت غرضا ... لكل منتزع سهما ومختتل
ولا تخافوا نكالا فيه منشاكم ... فالحوت فى اليم لايخشى من البلل

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢١١ .
(2) السابق جـ ٣ ص ٢٢٨ .
(3) ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

وفى هذه الأبيات يتساءل الشاعر عما أصاب النفوس القوية من ضعف والسيوف القاتلة من جبن ، فهل ذبلت عناصر المجد وجف معينها ، حتى عز وجود المدافع عن الأهل والعشيرة ، وغدا الناس يغمضون عمن يسئ إلى كرامتهم ويمتهن عفتهم ، مع أن مصر قد أفنت شجاعتها الظالمين على مدار التاريخ ، وعلى المعاصرين أن يستلهموا الماضى ، وأن يبادروا إلى نيل حقوقهم بعد أن يقلدوا أمرهم قائدا شجاعا يخوض بهم المعارك دون خوف ولا وجل .

ولاينسى البارودى فى استنهاضه همم قومه وبعث عزائمهم ، توجيههم إلى العلم وقيمته فى بعث الأمم وإعلاء شأنها وتنظيم شئونها ، ويهيب بهم أن يشحذوا عزائمهم ويصبروا ويثابروا على تحصيله فهو مناط كل تقدم وارتقاء : (١)

بقوة العلم تقوى شوكة الأمم ... فالحكم فى الدهر منسوب إلى القلم
كم بين ما تلفظ الأسياف من علق ... وبين ما تنفث الأقلام من حكم
لو أنصف الناس كان الفضل بينهم ... بقطرة من مداد لا بسفك دم
فاعكف على العلم تبلغ شاو منزلة ... فى الفضل محفوفةٍ بالعز والكرم
فليس يجنى ثمار الفوز يانعة ... من جنة العلم إلا صادق الهمم
لولا مداولة الأفكار ما ظهرت ... خزائن الأرض بين السهل والعلم
كم أمة درست أشباحها وسرت ... أرواحها بيننا فى عالم الكلم

وقد تعرض الشاعر فى هذه الأبيات للأفكار التى تلخص قيمة العلم وأثره ومنها : -

- أن الأمم يشتد بأسها ويعظم سلطانها إذا انتشر فيها العلم .
- لو أنصف الناس لجعلوا مقياس التفاضل بينهم بقدر ما لديهم من العلم والحكمة .
- شتان بين آثار السيوف من الدماء والقتل ومن آثار الأقلام من العلوم .
- إنما يجنى ثمار العلم اليانعة الناضجة وينتفع بنتائجها من قويت عزيمته وصدقت همته ، وصح عزمه وإرادته .
- لولا الاجتهاد فى البحث والدرس ومداولة الأفكار لظلت خزائن الأرض مغلقة وكنوزها مدفونة لا ينتفع أحد منها بشئ .
- لقد بادت كثير من الأمم بأجسادهم لكن ذكرياتهم ما زالت حية فيما خلفوه من علم وحكمة .

---

(١) ديوان البارودى جـ ٣ ص ٢٦١ .

وهذا التناول الآسر يبعث فى نفس المتلقى حب العلم والحرص عليه والشـــغف بـــه ، والعلم كما هو معروف أول لبنات البناء الحقيقى للوطن فى الداخل ، وأول سيف يسلط علـــى رقاب أعداء الوطن .

٢. جهاده ومناهضته للاستبداد .

كان البارودى متوثب العزيمة واسع الآمال منذ صباه ، وكان عزوفا عما يشغل أترابـــه وأنداده كالملاهى والملاذ الحسية الفارغة ، حيث كان يعد نفسه ليعتلى مجدا عريضا ، ومـــن ثم قال عن نفسه وهو فى صباه : [١]

لهج بالحروب لا يالف الخفـ ض ولا يصحب الفتاة الرداحا
مسعر للوغى أخو غدوات تجعل الأرض ماتما وصـياحا

أى أنه كثير الإغارة والهجوم أوائل النهار ، بمعنى أن غاراته تبعث فى الأرض النـــواح والصياح ، لشدة قتله وكثرة قتلاه . [٢]

لا يرى عاتبا على شيم الدهر ولا عابثا ولا مزاحـــــا
يفعل الفعله التى تبهر الناس وترنو لها العيون طماحـــا
أن فى بردتى هاتين ليـــثا يقص القرن أو يفل السلاحا

إنه ينأى عن مواطن العبث والمزاح ، لأنه يحمل قلب ليث يدق عنق نـــده فى القتـــال ويغلبه فى الشجاعة والمصاولة .

ويتحدث البارودى عن قيمه النفسية ، وصفات البطولة التى يتحلى بها إذ يقول : [٣]

وبى ظما لم يبلغ الماء ريـــــه وفى النفس أمر ليس يدركه الجهد
أود وما ود امرئ نافعا لـــــه وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جـد
ومن كان ذا نفس كنفسى تصدعت لعزته الدنيا وذلت له الأســـد
ومن شيمى حب الوفاء سجـــية وما خير قلب لا يدوم له عـــهد

وكان اسماعيل مبعث أزمة البارودى النفسية ، حيث ظل جاثما على صـــدر مصـــر ، جالسا على أريكة الحكم فيها ، وأخذ يستدين ويستزيد من أغلال الديون الأجنبية من الـــدول

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ١٢٩ .
(٢) ديوان البارودى جـ ص ١٢٩ .
(٣) السابق جـ ٢ ص ١٦٥ .

الأوروبية ، حتى بلغت سنه ١٨٦٨ نحو خمسة وعشرين مليونا من الجنيهات ، وظل اسماعيل ينفق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة على نزواته وملاذه ؛ بذلك ندرك أن أزمة البارودى لم تكن نفسية بل كانت راجعة بالدرجة الأولى إلى أسباب قومية ووطنية .

ومما يحسب للشاعر أن الفترة التى قضاها فى القصر فى ظل اسماعيل ثم توفيق ، لم يغير خلالها من توجهه الشعرى بل ظل يستهدف بنظمه مصالح الوطن العليا ، ولم يتحول إلى شاعر من شعراء البلاط الذين يسبحون بحمد اسماعيل ليلا ونهارا . وكان ذلك إبان شبابه المبكر حيث كان عمره إذ ذاك تسعة وعشرون عاما وهى مرحلة جديرة بأن تزيد المرء اعتدالا فى سلوكه واستقامة فى توجهاته : [1]

فقد ولى الصبا إلا قليلا ... أنازع سؤره بفضول كاسى
ومن يك جاوز العشرين تترى ... وأردفها بأربعة وخمس
فقد سفرت لعينيه الليالى ... وبان له الهدى من بعد لبس
نظرت إلى المرآة فكشفت لى ... قناعا لاح فيه قتير رأس [2]

وقد لبى البارودى نداء الحركة القومية ، وأخذ ينظم شعره السياسى الذى يدعو إلى الإصلاح والأخذ بنظام الشورى ، ويزداد للدعوة حمية فيطالب بتغيير السياسة ومن فى يدهم الحكم لعهد اسماعيل ، ويندفع فى ثورة قوية ، ملوحا بأمله فى أين يصير الأمر له فمن ذلك قوله : [3]

حلبت أشطر هذا الدهر تجربة ... وذقت ما فيه من صاب ومن عسل
لكننا غرض للشر فى زمن ... أهل العقول به فى طاعة الخمل

ويستطرد هاجيا حكام مصر فى قوله : [4]

قامت به من رجال السوء طائفة ... أدهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه ... بغضا ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت ... قواعد الملك حتى ظل فى خلل
وأصبحت دولة الفسطاط خاضعة ... بعد الإباء وكانت زهرة الدول
بئس العشير وبئست مصر من بلد ... أضحت مناخا لأهل الزور والخطل

---

(١) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٦٠ .
(٢) قتير رأس : أوائل الشيب .
(٣) ديوان البارودى جـ ٣ ص ١٥ - ١٧ .
(٤) السابق جـ ٣ ص ٤٧٤ .

وعندما أقصى توفيق البارودى عن الوزارة ، بعد أن نجح ريـــاض وغـــيره فى الـــدس والوقيعة بينهما ، استطاع البارودى أن ينتقم من رياض ووضاعة نفسه ، وهوانه فى نفوس قومـه ، إذا يخاطبه قائلا : [1]

دع الفخار وخذ فيما خلقـــــت له ... من الصغار فإن الطبع إلـــزام
وفوق ظهرك للأنفاس معـــــترك ... وفى حشاك لنار الفسق إضـرام
ويلمها خزية طارت بشنعـــــتها ... صحائف وجرت بالذم أقـــلام
فاخسا فما الكلب أدنى منك منزلة ... واخسا " لمثلك " إعزاز وإكـرام
وكيف يصلح أمر الناس فى بلـــد ... حكامه لبنات اللهو خـــــدام

ومعانى الأبيات تنطوى على هجاء لاذع يقول فيه :

- لا تحاول الزهو أو التعاظم واستمسك بما خلقت له وطبعت عليه من الذل والهوان .
- صور فسقه وفجوره بالنار الملتهبة التى يزيدها الشيطان اشتعالا .
- تعجب من مخازيه الشنيعة التى تذيعها الصحف وتسطرها الأقلام .
- إن الكلب ليس أدنى من المهجو منزلة وكلمة اخسأ للمهجو فيها تعظيـــم لـــه لأنـــه لا يستحقها .

وبعد أن أرسل القنصلان الانجليزى والفرنسى إنذار فى ٢٥ مـــايو ١٨٨٢ إلى حكومـــة البارودى يطالبان فيه باستقالة الوزارة وإبعاد عرابى عن مصر ، وعبد العال حلمى وعلى فـــهمى إلى بعض قرى الريف ، مزقت الحكومة الإنذار ، ولكن " توفيق " أسفر عن خيانته ، وأعلـــن قبوله له ، فتفاقم الأمر سوءا وقدم البارودى استقالته ، ولكنه لم ييأس من الأمل فى بزوغ الفجر ، ولكنه كان يرى أن طريق الثورة والكفاح هو الطريق الأقرب لتحقيق الأهداف [2] .

يا نفس لا تجزعى فالخير منتـــــظر ... وصاحب الصبر لا تبلى مرائـــره
لعل بلجة نور يستضاء بـــــــها ... بعد الظلام الذى عمت دياجـــره
إنى أرى أنفسا ضاقت بما حمـــــلت ... وسوف يشهر حد السيف شاهره
شهران أو بعض شهرا إن هى احتدمت ... وفى الجديرين ما تغنى فواقـــره

---

(1) السابق جـ ٣ ص ٤٧٤ .

(2) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ وانظر البارودى رائد الشعر الحديث د . شوقى ضيف ص ٧٨ .

ومعنى البيت الأخير إن أمر هذه الأزمة لا يزيد على شهرين وبعض شهر ، والدهـــر مملوء بالأحداث الجسام والخطوب القاصمة ، فلعل مصائبه تقع على أعدائنـــا ، لتغنينـــا عـــن مكافحته .

ويأسف البارودى ويأسى عندما تحيق الهزيمة بالجيش ، وتتوالى عليه الهموم المتنوعـــة ، من السجن إلى النفى المؤبد ، إلى مصادرة الأملاك ، فأخذ يتوعد الظالم بأن ظلمه لـــن يـــدوم طويلا ، والتاريخ شاهد على مصارع الجبابرة والطغاة :

وشامخ فى ذرا شماء باذخـة ... لا يعرف الصدق إن والى وأن عادى
لا يهدأ الدهر من ظلم يحاوله ... فإن قضى وطراً من غَـــدْرِهِ عادا
أباده الدهر رغما بين أسرتـــه ... كما أباد بريح صرصـــــــر عاداً [1]

والبيت الأخير يدل على مدى ثقافته الدينية ، واهتماماته العلميـــة بتـــاريخ الاســـلام ومصارع الظالمين ، حيث يشير فيه إلى فناء قوم هود وهى قبيلة عاد الذين طغوا وبغوا " وَقَـــالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوة " [2] وكانت النتيجة " فأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرصَرًا فِى أَيام نَحِسَات ، لنذِيقَـــهم عَذَاب الخِزى فى الحياة الدّنيا وَلَعذابُ الآخَرة أَخزَى وَهُم لا ينصرون " [3] وهو يلـــوح بهـــذه النهاية لكل ظالم مستبد لا يتقى الله فى رعيته ، وقد خاطب توفيق صراحة بقوله : [4]

يا أيها الظالم فى ملـــــكه ... أغرك المُلك الذى يـــــنفدُ
اصنع بنا ما شئت من قسوة ... فالله عدل والتلاقى غـــــدُ

ومن مواقف مناهضته للاستبداد ، حضه على الثورة ، عندما تآمر بعـــض الضبـــاط الجراكسة فى أبريل ١٩٨٢ م ، على اغتيال عرابى ومن معه من كبار الضباط والنظار ، فقدمـوا لمحاكمة عسكرية ، حكمت عليهم بالنفى المؤبد إلى السودان ، مـــع تجريدهـــم مـــن رتبـــهم وامتيازاتهم ولكن انجلترا وفرنسا ، طلبت من توفيق تعديل الحكم فانتهى إلى النفى لأى جهة مـع عدم تجريدهم من امتيازاتهم ، وهنا ثارت ثائرة البارودى ، وأخذ يحض على الثورة مهونا مـــن

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٢) سورة فصلت : ١٥ ، ١٤ .
(٣) سورة فصلت : ١٥ ، ١٤ .
(٤) ديوان البارودى جـ ١ ص ٢٥٣ .

شأن الموت الذى يدور كأسه ، على كل حىّ ، فالموت خير من الحياة الذليلة ، ومـــن واجـــب الشعب أن يتجمع للوقوف فى وجه خصمه ، فأخذ الشاعر يصيح فى وجه توفيق : [1]

عدادك فى سلك البرية خزيـــــة ودعواك حق المُلك أدهى وأعظم
لقد هانت الدنيا على الناس عندما رأوك بها فى مُلك يوسف تحكم
فإن تك أولتك المقادير حكمـــها فقد حازها من قبل عبد مزنـــم
وشتان عبد بالمحجة ناطـــــق وحر إذا ناقشته القول أغـــــتم
وهذا أذل الملك وهو معـــــزز وذاك أعز الملك وهو مهـــضم
فمن شك فى حكم القضاء فهذه جلية ما شاء القضاء المحـــــتم

وهو فى البيت الأول يقوله :

٢. إن انتسابك إلى بنى الإنسان يعرّهم ويخزيهم ودعواك ملك مصر أدهى وأمـــر مـــن هـــذا الانتساب .

٣. لقد تداول مصر فى قديم الزمان إلى اليوم حكمان متناقضان حكم المهجو وهو قـــائم علـــى الظلم والفساد ، وحكم يوسف الصديق وهو آية العدل والاحسان .

٤. فى البيت إشارة إلى كافور الإخشيدى تحقيرا للمهجو واستخفاف به .

٥. هناك فرق كبير بين كافور والمهجو فالأول واضح والثانى عيى ثقيل اللسان .

٦. يقول إن المهجو تولى أمر مصر وهى عزيزة قوية فأذل ملكها وأضعفها وكافور تولى الملـــك وهو ضعيف فقوّاه وأعزّه بحسن سياسته .

٤. البارودى فى المنفى :

بعد أن أخفقت الثورة ، اصطلى البارودى بنيرانها ، وتجرع مرارة نتائجها وإخفاقـــها حوكم ضمن من حوكموا ، ونفى إلى سرنديب فى صفر ١٣٠٠ هـــ - ديســـمبر ١٨٨٢ م ، ولما حانت ساعة الوداع فى مساء ٢٧ ديسمبر ٨٢ أعد البارودى ورفاقه قطـــار ، أقلـــهم إلى السويس ، ثم حملتهم فى صبيحته باخرة إلى سرنديب ونزلوا فى ثغرها " كولومبـــو " فى صبـــاح العاشر من يناير ٨٣ ، وتمزق قلب البارودى ، ولم ينس لحظات وداعه والدموع تنـــهمر مـــن عينيه ، فصور لوعته أثناء الرحيل .

---

(١) ديوان البارودى جـ ٣ ص ٥٦٣ .

إذ قال : [1]

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كاملزن
أهبت بصبرى أن يعود فعزنى وناديت حلمى أن يعود فلم يغن
وما هى إلا خطوة ثم أقلعت بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد فى لظى وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه فلما دهتنى كدت أقضى من الحزن
ولكننى راجعت حلمى وردنى إلى الحزم رأى لا يحوم على أفن

فى البيتين الأولين يصف الشاعر موقفه وموقف رفقائه وهم يودعون وطنهم ويلقون على ربوعه نظراتهم الأخيرة ، وهم يذرفون الدموع السخان التى انهمرت على صدورهم كالمطر ، وقد حاولوا الاعتصام بشئ من الأناة والصبر فغلبهم الوجد واستبد بهم الجزع والهلع .

ثم استطرد الشاعر يقول : وما هى إلا لحظات قصار حتى ارتحلت بنا السفينة وسط العيون الباكية ، والقلوب المتصدعة ، يقصد قلوب المنفيين وذويهم ثم يقول الشاعر " وما كنت جربت النوى قبل هذه " رغم أنه اغترب ونأى عن وطنه كثيرا حيث سافر إلى الآستانة سنه ١٨٥٧ م وأقام بها إلى سنه ١٨٦٣ ثم شارك فى حرب كريت من سنه ١٨٦٥ إلى سنه ١٨٦٧ ثم خاض غمار الحرب الروسية التركية من سنه ١٨٧٧ إلى سنه ١٨٧٨ وإنما قصد بهذا البيت أنه لم يجرب هذا النفى القهرى والتشريد الأبدى وفى البيت الأخير ، يحاول الشاعر أن يسترد قواه وينهض بنفسه ، ويعود إلى تجلده وحلمه ويعتصم بثباته وحزمه ، ويعتز برأيه وحسن تدبيره .

وفى المنفى كثيرا ما كانت نفس الشاعر تثور ، كلما تذكر الصورة الكئيبة ، التى حدثت له يوم الرحيل المشئوم ، حيث انتزع انتزاعا من بين أولاده ، وزوجته الشابة وعندما يلم به هذا الخاطر يتذكر عواطف الأبوة تجاه أبنائه ، وما كانوا فيه من رخاء عيش وهناءة بال ، وما آل إليه حالهم الآن بعد النفى : [2]

تعودت خفض العيش فى ظل والد رحيم وبيت شيدته العناصر
فهن كعنقود الثريا تالقت كواكبه فى الأفق فهى سوافر

([1]) ديوان البارودى جـ ٤ ص ٥ ، ٦ ، ٧ .
([2]) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٨٥ .

وقد يستقيم الأمر بعد اعوجاجه وتنهض بالمرء الجدود العواثر
ولى أمل فى الله تحيا به المنى ويشرق وجه الظن والحظ كاشر

والبارودى لا يهتم بحطام الدنيا ، وما صودر من أملاكه فيها ، ويقول : إننى إذا كنت قد سلبت الأموال ، فإن أمجادى وقيمى هى خير كساء ، وما قدمته لوطنى خير من أى مال ، ويمتلئ الشاعر إيمانا بأن ما هو فيه من شدة لابد لها يوما من زوال وانتهاء إذ يقول : [1]

ولو أن أسباب السيادة بالغنى لكاثر ربُّ الفضل بالمال تاجرُ
فلا غرو أن حزت المكارم عاريا فقد يشهد السيف الوغى وهو حاسرُ
وما هى إلاّ غمرةٌ ثم تنجلى غيابتها والله من شاء ناصر

وحديث البارودى عن نفيه ، يخصه أحيانا بقصائد مستقلة ، وأحيانا يمزجه بالحديث عن مواقفه قبل النفى ، كما يمزجه بالحديث عن كريم شيمه وما حققه من مجد خالد . ومما ضاعف ألمه وأساه ، ما اتهمه به بعض رفاقه . من أن بواعثه للثورة لم تكن بواعث ثورية وطنية ، بل كانت كامنة فى طمعه فى الملك ولم تكن من أجل مصر وأما أصابها من أرزاء ، فآذاه ذلك إيذاء شديدا ، وأخذ يرد على تلك الاتهامات : [2]

يقول أناس إننى ثرت خالعا وتلك هنات لم تكن من خلائقى
ولكننى ناديت بالعدل طالبا رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
أمرت بمعروف وأنكرت منكرا وذلك حكم فى رقاب الخلائق
وإن كان عصيانا قيامى فإننى اردت بعصيانى إطاعه خالقى
وهل دعوة الشورى على غضاضة وفيها لمن يبغى الهدى كل فارق
بلى إنها فرض من الله واجب على كل حىّ من مسوق وسائق
على أننى لم آل نصحا المعشر أبى غدرهم أن يقبلوا قول صادق

ثم يشير البارودى إلى مدى التأييد الشعبى الذى كان يحظى به العسكريون ومدى قوة المؤازرة الشعبية التى تدفعهم وتشد من أزرهم ، بحسبانهم نواب الشعب للمطالبة بحقوقه الوطنية [3] .

فلما استمر الظلم قامت عصابة من الجند تسعى تحت ظل الخوافق
وشايعهم أهل البلاد فاقبلوا إليهم سراعا بين آت ولاحق

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٨٧ .
(2) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٣٥٩ .
(3) ديوان البارودى جـ ١ ص ٦٥ .

يرومون من مولى البلاد نفاذ ما تالاه من وعد إلـــى الناس صادق
فهذا هو الحق المبين فلا تسـل سواى فإنى عالـــــم بالحـقائق

وعلى هذا النحو يمضى البارودى نافيا عن نفسه التهمة ، مصورا أن ما فعله فى سـبيل وطنه ، كان واجبا عليه ، كما هو واجب على كل وطنى غيور ، وأنه إنما ثار من أجـل دينـه ووطنه لا يدفعه لذلك إلا الدين والوطن[1] .

لم أقترف زله تقضى علىّ بـــما أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ذنب أدان به ظلما وأغـــترب
فلا يظن بى الحساد منـــدمة فإننى صابـــر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبـت أيدى الحوادث منى فهو مكتسب

وظل البارودى يتحمل ألم المنفى ومراراته بإباء وشمم ، وظل صامد للمحنـه معتمـدا على إيمانه بربه ووطنه ، ولم تنكسر نفسه يوما أو تلين قناته ، بل زادته الشدة قوة وصلابـة ، وقد عبر عن ذلك فى قصيدته التى يقول فيها : -[2]

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت عليه فلا يأسف إذا ضاع مجـده
ومن ذل خوف الموت كانت حيـاته أضر عليه من حمام بـؤوده
وأقتل داء رؤية العين ظـــاما يسيئ ويتلى فى المحافل حمده
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعـش بها بطلا يحمى الحقيقة شـدّه
وإنى امرؤ لا أستكين لصـوله وإنى شد ساقى دون مسعاى قدّه
ولابد من يوم تلاعب بالقـنا أسود الوغى فيه وتمرح جنـوده
فإما حياة مثل ما تشتهى العـلا وإما ردى يشفى من الداء وفـده

والشاعر فى هذا الأبيات يهيب بكل إنسان ألا يخضع لذل ، لأن خنوعـه وخضوعـه إيذان بزوال مجده ، والحياة بدون مجد يفضلها الموت بعزة وشرف ، ومما يؤثر فى الإنسـان أن يرى الظالمين يمرحون ويسرحون بل ويسبح بحمدهم الكثيرون.

ثم يعلن عن نفسه ، أنه لا يستكين للظلم ولو أداه ذلك إلى الموت لزؤام ، فإما أن يحيا كما يريد ، وإما أن يموت بعزته وكرامته .

---

(1) ديوان البارودى جـ ١ ص ٦٥ .
(2) السابق جـ ١ ص ١٤٤ / ١٤٥ .

غير أن البارودى وهو فى منفاه ، أخذت الهموم تعرف طريقها إليه بعد سنوات قليلة ، حيث أخذ البريد يحمل إليه نعى أصدقائه وأهله ، فيجزع جزعا شديدا ، ويصور هذا الجزع فى مراثٍ تتسم بالصدق ، وتفيض باللوعة والألم ، ومن أوائل الأصدقاء الذين وصلهم نعيه ، العلم اللغوى الأديب " أحمد فارس الشدياق " [1] الذى توفى فى سنه ١٨٨٧ وكان صديقا مخلصا للبارودى فرثاه رثاء حار قال فيه : [2]

متى يشتفى هذا الفؤاد المفجع ... وفى كل يوم راحل ليس يرجع
أبعد سمير الفضل ، أحمد فارس " ... تقر جنوب أ ويلائم مضجع
كفى حزنا أن النوى صدعت به ... فؤاد من الحدثان لا يتصدع
وما كنت مجزاعاً ولكن ذا الأسى ... إذا لم يساعده التصبر يجزع
ففقدناه فقدان الشراب على الطما ... ففى كل قلب علة ليس تنقع

وفى سنه ١٨٨٩ توفى " عبد الله فكرى " [3] وكان للبارودى صديق ورفيق سلاح وشريك ثورة فتأثر البارودى تأثرا بالغا لوفاته ورثاه بأبيات حارة ، قال فيها : [4]

فإن يك ولى فهو باق بافقه ... كنجم بشوق الناظرين بهاؤه
ولولا اعتقادى أنه فى حظيرة ... من القدس لاستولى على الجفن ماؤه
عليك سلام من فؤاد نزا به ... إليك شراع أعجز الطبَّ داؤه

ويصله نعى أستاذه الشيخ حسين المرصفى ، فيتغنم الفرصة فى رثائه ، ويرثى معه نفسه وشبابه الذى بلى ولم يبق منه شئ : [5]

لم تدع صوله الحوادث منى ... غير أشلاء همة فى ثياب
فجعتنى بوالدى وأهلى ... ثم أنحت تكر فى أترابى
كل يوم يزول عنى حبيب ... يالقلبى من فرقة الأحباب
أين منى حسين ؟ بل أين ... عبد الله رب الكمال والآداب
مضيا غير ذكرة وبقاء الـ ... ذكر فخر يدوم للأعقاب

---

(١) أحمد فارس الشدياق [١٢١٩ -١٣٠٤ هـ- (١٨٠٤ - ١٨٨٧ م)] عالم لغوى أديب وكاتب وشاعر ولد فى إحدى قرى لبنان وتأدب فى مصر ، وتنقل بين مالطة وأوربا ، وسافر إلى تونس ، واعتنق الدين الاسلامى ثم بعث إلى القسطنطينية فأقام بها حتى مات .

(٢) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) عبد الله فكرى كاتب وشاعر وأديب ، كان من حاشية سعد باشا ثم اسماعيل وقد تقلد عدة مناصب آخرها نظارة المعارف ، وبقى بها حتى الثورة العرابية فاتهم فيها وقبض عليه ، ثم ظهرت براءته فأطلق سراحه وتوفى فى سنة ١٨٨٩ .

(٤) ديوان البارودى جـ ١ ص ٣٠ .

(٥) السابق جـ ١ ص ٥٥ .

ويبلغ به الأسى أقصاه ، عندما يصله نعى زوجته ، وهى الزهرة اليانعة فى بستان حياته فيظل يبكى وينوح ، فيصعد الزفرات ، ويرسل الآهات ، وهيهات أن تنطفئ نيرانه أو تخمد لوعته وقد كانت الرفيق والصديق والزوج والحبيب : [1]

يا دهر فيم فجعتنى بحليلة ... كانت خلاصة عدتى وعتادى
إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها ... أفلا رحمت من الأسى أولادى
أفرزتهن فلم يتمن توجعا ... قرحى العيون رواجف الأكباد
يبكين من وله فراق حفيةٍ ... كانت لهن كثيرة الإسعاد

ولكن طول النفى أورثه السقام والعلل ، فكف بصره ، وضعف سمعه ، ووهن جسمه يصور ذلك قوله : [2]

أخلق الشيب جدتى وكسانى ... خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عينى ... حتى أظل كالهداب
أرى الشئ حين يسنح إلا ... كخيال كاننى فى ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنى ... أسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتنى ... وَنْيَةً لا تقلها أعصابى

وهو يذكر فى هذه الأبيات أن أحداث الدهر ونوازله قد اشتدت عليه حتى انحلته وأضعفته ، ولم تترك فى ثيابه غير بقايا من همته ، وهو بهذا يأسى على ما آل عليه حاله من نحول وضعف ، ويفخر بما بقى من همته وعزمه القوى ، رغم صولة الحوادث وسطوة الزمان .

ويمرض البارودى وينصحه الأدباء بأن ينتقل من " كولومبو " إلى هضاب سرنديب فينزل فى سنه ١٨٩٠ فى مدينة كندى وسط الجزيرة ، بعد أن زوجه رفيقه يعقوب سامى ابنته علها تخفف لوعته ، وتطفئ نيران غربته وحرقته ، ولكن هيهات فقد ظل طول إقامته فى كندى ، يهفو به الحنين إلى وطنه ، ومنذ هذا التاريخ كثر فى أشعاره الزهد ، والابتهال إلى الله والتغنى بالرسول صلى الله عليه وسلم فأخذ ينظم فيه القصائد المتعددة لعل أبرزها " كشف الغمة فى

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ١٩١ .
(٢) السابق جـ ١ ص ٥٦ وراجع فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى جـ ١ ص ١٧٨ .

مدح سيد الأمة " يقول فيها مصورا عروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى السموات ومناجاته الذات الإلهية :

سما إلى الفلك الأعلى فنال به ... قدرا يجلّ عن التشبيه فى العظم
وسار فى سبحات النور مرتقيا ... إلى مدارج أعيت كل معتزم
وفاز بالجوهر الكنون من كلم ... ليست إذا قرنت بالوصف كالكلم
سر تحار به الألباب قاصرة ... ونعمة لم تكن فى الدهر كالنعم
ميمات يبلغ كنه ما بلغت ... قرباه منه وقد ناجاه من أمم

وأخيرا وبعد ما يقرب من ثمانية عشر عاما قضاها فى معاناه بالغة فى منفاد ، عاد إلى أهله وأصحابه فى مصر ، واستقبلته مصر فى عام ١٩٠٠ م بالحب والوفاء .

وكانت عودة البارودى إلى أرض الوطن ، عودة محمودة للشعر والأدب والفن ، حيث تحولت داره إلى ندوة مفتوحة يؤمها الأدباء والشعراء والمفكرون .

وفيها التقى بأصدقائه وأحبائه أمثال أحمد شوقى وإسماعيل صبرى ، وخليل مطران وحفنى ناصف ، وحافظ إبراهيم ، ومصطفى صادق الرافعى وكذلك التقى بالعلماء أمثال الشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا وغيرهما من المفكرين .

ويذكر الأستاذ أحمد سويلم موقفا من مواقف البارودى الكثيرة التى تدل على إنسانيته ومدى وفائه لأصدقائه فيقول [1] : فى إحدى الأمسيات دخل على البارودى صديقه حافظ إبراهيم – حيث كان حافظ يشكو البؤس بعد عودته من السودان بعد أن أحيل إلى الاستيداع – دخل حافظ وحيّا البارودى ، ثم أنشده قصيدة يخاطبه فيها وقد جاء فيها :

أمير القوافى إنّ لى مستهامةً (٢) ... بمدح ومن لى فيك أن أبلغ المدى
أتيت ولى نفس أطلت جدالها ... سيقضى عليها كربها اليوم أو غدا
فإن لم تداركها بفضلٍ فقد أتت ... تودع مولاها وتستقبل الرّدى (٢)

ويبكى البارودى ، حينما سمع هذه الأبيات بكاء حارا وقال لحافظ :

يا صديقى لقد عانينا قسوة الحياة معا، وبحق صداقتنا أرجوك أن تحذف هذه الأبيات من قصيدتك

---

(١) فارس الشعراء أحمد سويلم الدار المصرية اللبنانية ط (١٩٩٧) ص ٥٥ .

(٢) مستهامة : أى رغبة عميقة .

(٣) تداركها : أى تمنحها أو تدركها .

ثم نهض البارودى من مكانه ، ثم عاد وهو يبكى وبيده مظروف به أربعـــون جنيـــها ، ناوله لحافظ إبراهيم ، وهى قيمة ما كان مقررا للبارودى وقتئذ من معاش ، ثم قال لحافظ :

- أتدرى لماذا أبكى يا صديقى ؟

- قال حافظ : لا

- قال البارودى: أبكى لأننى عشت يوما إلى زمن يقدم فيه مثلى إلى مثلك هذا المبلغ الضئيل !!

وتتوالى الأحداث على البارودى أواخر أيامه ، ولا تجعله يهنأ بعودته إلى وطنه ، فقد خطـف الموت إحدى بناته ليلة زفاف شقيقتها ، مما قضى على البقية الباقية من استقراره وسعادته .

ويعتزل البارودى كل شئ فى الحياة ، إلا بعض الأصدقاء ، وعكف على تنقيح ديوانـه الذى لم يطبع فى حياته .

وفى ديسمبر عام ١٩٠٤ يرحل البارودى من عالم الشعر والاصدقاء تاركـــا أعمالـه الخالدة التى تبقى ذكره إلى ما شاء الله .

سنوات مهمة فى حياة البارودى .

١٨٣٩	ميلاد الشاعر .
١٨٤٦	وفاة أبيه حسن حسنى البارودى .
١٨٤٧- ١٨٥١	درس كتب النحو والصرف والتوحيد والأخلاق وحفظ القرآن الكـــريم على يد مدرسين خصوصين فى بيته .
١٨٥١- ١٨٥٥	فترة التحاقه بالمدرسة الحربية .
١٨٥٧- ١٨٦٣	عمل بالخارجية فى الباب العالى بالآستانة .
١٨٦٣	أعادة الخديوى إسماعيل إلى القاهرة ليعمل فى إدارة المكاتبات بـــين مصـــر والآستانة .
١٨٦٣	التحق بالجيش ومنح رتبة البكباشى وألحق بالحرس الخديوى قائد الكتيبتين
١٨٦٤	رقى إلى رتبة عقيد " قائمقام " .
١٨٦٥	رقى إلى رتبة أمير الاى وقاد الفيلق الرابع من الحرس الخديوى .
١٨٦٥- ١٨٦٧	اشترك فى إخماد الثورة ضد تركيا فى جزيرة كريت .
١٨٦٧	يعود إلى مصر منصراً ويمنح الوسام العثمانى .
١٨٧٧	ينضم إلى الحملة التى حاربت إلى جانب تركيا ضد روسيا .
١٨٧٨	رقى إلى رتبة اللواء وحصل على الوسام المجيدى ونيشان الشرف .
١٨٧٨	عين مدير للشرقية .
١٨٧٨	عين مدير للقاهرة .
١٨٧٩	انضم إلى الحزب الوطنى الذى حارب الاستبداد ونادى بالشورى .
١٨٨٠	عين وزيراً للجهادية والأوقاف فى وزارة رياض .
٨ / ١٨٨١	إستقال من الوزارتين .
٩ / ١٨٨١	أعيد وزيرا للجهادية فى وزارة شريف .
٢ / ١٨٨٢	عين رئيسا للوزارات الوطنية حيث بدأت العداوة بين الوزارة والخديـــوى توفيق .
٩ / ١٨٨٢	هزيمة العرابين فى التل الكبير والقبض عليهم ومن بينهم البارودى .
٢٨ / ٩/ ١٨٨٢	بدء نفى البارودى وزملائه فى سرنديب .
١٢ / ١٩٠٤	وفاة البارودى .

الفصل الثالث

من الخصائص الفنية
لشعر الوطنية عند البارودى

١. اللفظة والأسلوب .

٢. المعانى .

٣. العاطفة .

٤. الخيال .

٥. الخاتمة .

٦. المراجع .

٧. فهرست

من الخصائص الفنية لشعر الوطنية عن البارودى

نتحدث خلال هذا الفصل عن بعض الخصائص الفنية لشعر الوطنية عند البـــارودى ، ولا نستطيع فى مثل هذا البحث أن نغطى جميع الفنيات التى حظى بها شعر البارودى وحسبنا أن نتناول منها ما يلى :

اللفظة والأسلوب :

كانت الألفاظ تنساب وتتوالى على لسان البارودى فى يسر وسلاسة وتدفق ، وهـــى ألفاظ توافق مذهبه الفنى فى الاحتفاء بالفصحى والعناية بوقار اللفظة وجلالها ، وكأنه ينتقيـــها انتقاء ، ويتخيرها تخيرا ملائما للموضوع الذى ينظم فيه ، حيث يرق ويلطف فى مقـــام الرقـــة واللطف ، أى فى الموضوعات التى تتطلب ذلك كالغزل والعتاب ، ووصف الطبيعـــة الجميلـــة على غرار قوله فى وصف مجلس أنس : (١)

وقد شاقنى والصبح فـى خدر أمـه ... حنـين حمامـات تجـاوبن فـى وكـر
متفـن فـاطر بـــن القلـــوب كانمـــا ... تعلمـن ألحان الصبابة مـن شـعرى
وقام علـى الجـدران أعـرف لم يـزل ... يبدد أحلام النيام ولا يـــــدرى

فهنا نجد شاعرنا وقد تملك ناصية اللغة يستخدم ألفاظـــا وأســـاليب رائقـــة تناســـب الموضوع الذى يتحدث فيه ، فلفظة " شاقنى " أى أهاج شوقى ، أفصح كلمة فى موضعـــها ، والكناية عن البكور بقوله : " والصبح فى خدر أمه " كناية بديعة واستعارة مكنيـــة شـــخصت الصبح وجعلت له أما ، وتوحى باللطافة والرقة والرحمة ، ثم قال : " حنين حمامـــات " مـــع أن هديل تؤدى معنى " حنين " المعجمى لكن " حنين " تزيد عن هديل من حيث إنها اضافت إليـــه تجاوب الشاعر مع الحمامات أى أن لفظة الحنين تجمع بين الحمامات والشاعر بخلاف الهديل فهو خاص بالحمامات ذلك أن حنينهن أثار لديه ذكريات نائمة ، وخيالات حالمة ، وقال حمامـلت ولم يقل حمائم ، لمناسبة تجاوبن ، ولأن حمامات تعد جمع قلة وفى الصباح المبكر الذى يتحـــدث فيـــه كانت الحمائم اليقظى قليلة ، ثم يربط الشاعر بين ألحان شعره وألحان الحمائم فى طفرة كبـــيرة تنتمى إلى الرومانسية فيما يسمى لديهم بالامتزاج مع الطبيعة أو الحلول الشـــعرى إذ يقـــول : إنهن أى الحمامات هتفن على ما فى هذا الفعل من سلاسة الأداء وهمس التدفق والعطاء الـــذى

---

(١) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٦ .

يتسلل إلى المتلقى دونما عناء ، ثم عطف عليها بالفاء " فأطربن " فكأن الإطراب مترتب على الهتاف ولم ينس أن يذكر الديك الذى عبر عنه " بالأعرف " وهى لفظة قلمت تتاح لغير البارودى فى مثل هذا الموطن إذ أن الأعرف وهو الديك الذى له " عرف " كأنه يبدد أحلام النيام صورة رائعة لإيقاظ النائمين،بأن أحلامهم تبدد بفعل الديك دون أن يدرى .

ومع هذا فإن قوله : وقام على الجدران " أسلوب نزل بأسلوب البارودى المحلق إلى وهاد ووديان أحدثت فى نظرى نبوا فى الطبقة ، ولا أدرى لماذا خص الجدران وهل لابد أن يقف الديك على الجدران بالذات على كل حال ففى رأيي أن الشاعر لو قال : وصاح على الآذان أعرف ... لكان أقرب إلى الطبع وألصق بالموضوع لأن العبرة هنا بالصوت الذى يحدثه الديك لا لونه ولا قيامه .

وعموما فإن ألفاظ البارودى تنتمى إلى الفصحى وكلها حفيف سلس وكلها تفيض بشرا وبهجة لأنها تترجم عن موقف أنس وبهجة مثل قوله " شاقنى – الصبح – هتفن – أطربن القلوب ألحان الصبابة ، وما أروع هذه الموسيقى الأخاذة التى يستشعرها القارئ وهو يردد قوله حنين حمامات ولا يدرك الانسان عذوبة النغم إلا إذا كررها عدة مرات حنين حمامات ، حنين حمامات ... حيث تعطى سلما موسيقيا جميلا ترتاح النفس لاستعادته وتكراره .

هذا بينما نرى ألفاظ البارودى وأساليبه تعلو فى الطبقة والجزالة والمهابة حين ينشد فى الحماسة والفخر ووصف الحروب مثل قوله يصف بعض المعارك التى خاضتها الدولة العثمانية ضد روسيا والتى شارك فيها الشاعر سنه ١٨٧٧ [١] .

وأصبحت فى أرض يحار بها القطا ... وترهبها الجنان وهى سوارح (٢)
بعيدة أقطار الديا ميم لو عدا ... سليك بها شاوا قضى وهو رازح (٣)
تصيح بها الأصداء فى غسق الدجى ... صياح الثكالى هيجتها النوائح (٤)

---

(١) ديوان البارودى جـ ١ ص ١١٠ .
(٢) القطا طائر يضرب المثل بهدايته فيقال:أهدى قطاة والجنان جمع جان وسوارح جمع سارحة الابل ترعى نفسها .
(٣) أقطار جمع قطر وهو الناحية والدياميم جمع ديمومة وهى الأرض القفز الواسعة وعدا : جرى شأوا : سقوطا رازح من رزح أى سقط إعياء .
(٤) الأصداء جمع الصدى وهو طائر يصر بالليل وهو أيضا جمع الصوت فى الخلاء الغسق : ظلمة الليل .

فهنا نجد ألفاظ الشاعر تشتد ، ونبرته تحتد ولكن لفظة " الديناميم " لفظة معرقة فى البداوة كان أمام الشاعر سواها كثير ، لأنه يتحدث عن معركة فى العصر الحديث .

صحيح أن اللفظة ربما كانت متداولة فى زمن مضى أو فى البادية لمن أقام فيها ، حيث إن البدوى تنتمى حياته كلها – لا لغته فقط – إلى الخشونة والوعورة وهنا لا نلوم الشاعر الذى استخدمها فى عصر شيوعها أو بين قوم يألفونها ، لكننا نعيب عليه استخدامها فى الحضر أو فى زمن صارت فيه الكلمة وحشية نافرة [1] .

وفيما عدا لفظة الديناميم هذه ، فإننا نجد الألفاظ مألوفة متداولة ، تغلفها الجزالة والمهابة التى تضفى عليها جلا لا روعة ، وهذه الألفاظ والأساليب هى النتيجة التلقائية لقراءاته فى نتاج العصور الأدبية التى اتسمت بالقوة والروعة .

على أن هناك من نقاد العرب " من يؤثر الغرابة والوحشية ، ويستجيد الكلام إذا لم يوقف على معناه إلا بكد ، ويستفصحه إذا كانت ألفاظه حوشية غريبة " [2] .

لكن معظم النقاد يجمعون على أن الكلام إذا ساد فيه استعمال الغريب ، أصبح معيبا مرذولا ، لأن المعنى يصبح منغلقا مبهما .

وفى تقديرى أن استعمال الحوشى معيب ، إذا كان فى المألوف عنه غناء ، فإذا لم يكن فى المألوف ما يغنى ، واستخدم الشاعر الغريب ، فلا حرج عليه ، لأنه ليس أمامه خيار ولا اختيار ، وقد عرف البلاغيون الكلمة الغريبة الوحشية ، بأنها التى لا يظهر معناها إلا بالتنقير فى كتب اللغة المبسوطة [3] .

ويدل ذكر البارودى يسليك بن السلكة فى شعره على سعة اطلاعه ، ورصيده الثقافى والفكرى الواسع ، لأن سليكا هذا كان من صعاليك العرب وفتاكهم المشهورين بالعدو والسطو ، وقطع الطريق ، كما يدل استخدام القطا فى البيت الأول للدلالة على شدة حيرته – على تمكنه من طرائق استخدام اللغه ، التى تواضع عليها العرب الأوائل .

---

(1) راجع صبح الأعشى للقلقشندى ٢ / ٢٢٣ .

(2) راجع الصناعتين ص ٥٨ .

(3) راجع الإيضاح ١ : ٩ .

فهنا نجد الألفاظ قد اخشوشنت ، وطبقة الصوت صارت أعلى ، وحرف الروى وهو الحاء المضمومة ، يوحى بالشدة والقسوة واللوعة والغربة التى يعانى منها الشاعر وهو بأرض المعركة فى هذه البلاد النائية .

وألفاظ البارودى وأساليبه تتسم بالدقة وهذه الدقة التى نتحدث عنها فى ألفاظ البارودى ، ، قد لا تكون دقيقة عند شاعر آخر ، لأن المعتد به فى وصفها بالدقة ، أن تكون مطابقة للمعنى الذى يجول فى ذهن الشاعر ، وأن يسترفدها من محصول ثقافته اللغوية ، وما يتلاءم معه منها رقة أو جزالة إلى غير ذلك من السمات التى تكسو نتاج كل شاعر ، فإن شاعراً مثل إسماعيل صبرى أو إبراهيم ناجى مثلا لو وردت مثل هذه الألفاظ المتبدية فى شعره ، لما حظيت بهذه الدرجة من الحكم بدقتها.

ومعنى الدقة فى وصف الألفاظ أن يختار الشاعر من الكلمات أدقها فى أداء المعنى الذى يجول فى نفسه" [1] فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى ولكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض ، والشاعر الموفق هو الذى يهتدى إلى الكلمة التى تكون شديدة الإبانة عما يريد فعبارة " يحاربها القطا " تدل جيداً على شدة إضطرابه وتخبطه ، وعبارة " ترهبها الجنان وهى سوارح " تبرز خوفه وشعوره بالوحشة والتفرد والكآبة النفسية ، وبعيدة " أقطار الديامیم " توحى بضياعه فى هذه الصحراء المترامية الأطراف التى تعيى أشهر عدائى العرب من رجالات الليل وذؤبان الصحراء والتى تتجاوب فى جنباتها أصوات الخراب والدمار والهلاك كما يتجاوب صياح الثكالى التى لا تكف عن النحيب والنواح.

المعنى والمضمون :

ومضامين الشعر عند البارودى تنطوى على قيم سامية ومعان راقية ، ومحتوى مثير غزير ، والمعروف أن شاعرنا قد طرق كل موضوعات الشعر وتنوعت معانيه تبعا لنوعية الموضوع ولكن الشئ الذى يسترعى الانتباه ، أن معظم معانيه تكسوها مسحة من البداوة ويغلفها الشكل التقليدى لأن البارودى كان مقلداً من ناحية الشكل مبتكراً من ناحية المضمون

---

(1) راجع أسس النقد الأدبى د. أحمد بدوى ص ٤٥٢ .

والتشكيل الشعرى ، ولنستعرض مثالا لما أبدع فيه من شعر الحنين الذى وجد فيه سلواه على مدى سبعة عشر عاما قضاها فى غربة قاتلة ويأس لاذع وحزن دفين [1].

منازل كنت منها فى بلهنية ... ممتعا بين غلمانى وأتباعى [2]
فاليوم أصبحت لاسهمى بذى صرد ... إذا رميت ولا سيفى بقطاع
أبيت فى قنة قنواء قد بلغت ... هام السماك وفاتته بأبواع
أظل فيها غريب الدار مبتئساً ... نابى المضاجع من هم و أوجاع
لا فى سرنديب خل أستعين به ... على الهموم إذا ماجب ولا راعى
يظننى من يرانى ضاحكاً جزلاً ... أنى خلى وهمى بين أضلاعى

وفى مضمون هذه الأبيات نجد الأسى والحزن والألم ، قد تألبت كلها فتجمعت على الشاعر تجرعه غصصاً لا تطاق ، وكأن البارودى فى هذه الأبيات ممثل لبس دور الشاعر البدوى فوفاه لغة وشعورا وزياً وحركة فخلقه خلقاً جديداً وجعل له تمثالاً من نفسه وحياته [3].

إن الشاعر يتذكر أيام العز والرخاء التى كان يتمتع بها بين غلمانه وأتباعه وأهله وإذا به اليوم يفقد كل شيئ ، فلا سهمه يصيب ، ولا سيفه يقطع ، وإذا به غريب مبتئس ، جافاه مضجعه من كثرة الهم والأوجاع ، فلا وجده يندرس ولا صبره يطاوعه .

على أية حال فإن معانى البارودى فى عمومها تنتمى إلى البداوة التى تأثر بها وبحياة أهلها من خلال قراءاته ، لكنها معانٍ سامية ، تربط الحاضر بالماضى ، وتوقف المعاصرين على صور صادقة من حياة السابقين .

ولا يمكن فى هذا الإطار أن يتهم البارودى بالخواء الفكرى والنضوب الذى جعله عاكفاً على آثار سابقيه " إذ أنه من المقررات أن الشاعر إذا اتيح له أن يغترف من آثار سابقيه ، فليس معنى ذلك أن يعيش كلا عليهم يستقى أفكاره من السابقين ويبنى شعره على معانيهم وكان يقال :إن اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل "[4] .

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٦٣
(2) البلهنية : رخاء العيش صرد : من صرد السهم إذا أصاب ونفذ ، القنة : أعلى الجبل – قنواء : عالية مرتفعة – الهلم : جمع هامة وهى رأس كل شئ وأعلاه ، السماك : نجم يضرب به المثل فى الارتفاع
(3) تاريخ الأدب العربى لحنا الفاخورى ص ٦١
(4) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٢١٦

ولكن الشاعر إذا عكف على نتاج الآخرين ، فإن ما يعفيه من تهمة السرقة والاسترفاد والاتكاء أن تظهر شخصيته فى هذا الأخذ إما من ناحية المعنى أو ناحية الأسلوب ؛ فمن ناحية المعنى يعرف فضل الآخذ إذا بين المعنى الذى كان غامضا بأن يكمله إذا كان ناقصاً أو يقيده إن احتاج إلى تقييد أو يعتصره ليأخذ خلاصته ، أو يقلبه أو يصرفه عن وجهه إلى وجه آخر أولى به فى نظر الشاعر ، أو يصلحه ، أو يصلحه إن كان خاطئا ، أو يدله المعنى القديم لمعنى جديد ، ومن ناحية الأسلوب يختصره إذا كان مطولاً أو يبسطه إن كان كزّا أو يختار له العبارة الجيدة إن كان سفسافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً "[1] .

فإذا نظرنا فى ضوء هذه المقاييس إلى وطنيات البارودى ، وجدناه قد برئ من تهمة التقليد والاتكاء ، لأن كل شعره يكاد يكون موسوماً بعلامة طبعه وشخصيته ، ويستطيع كل مهتم بالأدب أن يميز شعر البارودى بين شعر شعراء جميع عصره ، وذلك لما يتسم به من القوة والجزالة والبداوة ، بالإضافة إلى إلتزامه الفصحى وانحيازه إليها فى كل ما قال .

وأيضاً لا نرى فى شعره فجوات أسلوبية أو فكرية أو نظمية بمعنى أن شعره كله من بدايته وهو شاعر ناشئ إلى كهولته وهو شاعر كبير يتسم بسمات واحدة . وليس هناك أبيات يمكننا أن نعدها من طفولة الشعر عنده ، لأنه ولد كاملا بخلاف معظم معاصريه .

ونسوق هنا مثالاً آخر فى الفروسية والحماسة التى طالما تمنى أن يكون أحد رجالها ليكون نموذجاً حيا لمن خلدهم التاريخ العربى بسبب اتصافهم بها إذ يقول [2] :

١. انا ابن الوغى والخيل والليل والظبا ... وسمر القنا والرأى والعقد والحل
٢. فقل للذى ظن المعالى قريبة ... رويدا فليس الجد يدرك بالهزل
٣. فما تصدق الآمال إلا لفاتك ... إذا هم لم تعطفه قارعة العذل
٤. فلا تعترف بالذل خوف منية ... فإن احتمال الذل شر من القتل
٥. وما أنا والأيام شتى صروفها ... بمهتضم جارى ولا خاذل خلى
٦. أسير على نهج الوفاء سجية ... وكل امرئ فى الناس يجرى على الأصل

---

(1) راجع الصناعتين ص ١٨٦

(2) ديوان البارودى جـ٣ ص ٨٤ ، ٨٥

فقد جمع الشاعر فى البيت الأول ثمانياً من مناقبه ومفـــاخره فى الحـــرب والســـلم ، لم يركب فى واحدة منها متن الشطط أو المغالاة ، فهو فارس محارب شديد البأس ، صلب المراس ، يقتحم الظلماء ويصول فى الهيجاء معتمداً على عدته وسلاحه ، لا يبالى المخاطر والمخـــاوف ، ولا يكترث للأهوال والشدائد ، وهو إلى ذلك كله سيد مطاوع فى قومه ، راجح العقل ســديد الرأى صائب التدبير قوى الإرادة ، واسع الحيلة ، يتصرف فى الأمور العامة بحذق وبصـــيرة ، ويسوس الناس بلباقة وكياسة ولهذا يرجعون فى مشكلاتهم إليه ويعتمدون فى مهماتهم عليه .

وفى الأبيات عموماً نجد البارودى يتمثل خلق الفارس الأصيل من النبل وحماية الجـــار والمودة والوفاء والشجاعة والإقدام والجد فى القول والفعل إلى غير ذلك من حميد الفعال.

وربما طفا على سطح فكرنا وعواطفنا ونحن نقرأ هذا الشعر كلام للمتنـــبى وطريقتـــه واعتزازه بنفسه ، لكننا لا يمكن عند التحقيق أن نقول إنه اتكأ عليه أو استرفده لصعوبة ضبطـه متلبساً فى معنى أو صورة .

على أن المعنى فى الشطر الثانى من البيت الأخير عامى مرذول وسوقى مبتذل يجرى علـــى ألسنة العامة إذ يقولون : " ابحث عن الأصل " أو" كل واحد وأصله " وهو تعبير شعبى مصرى.

ويجدر بنا أن نسجل للبارودى أنه جدد فى شعر الحنين إلى الوطن رغم أنه غرض قـــديم ، فمنذ العصر الجاهلى والشعراء يتغنون دائماً بالأطلال والديـــار وذكريـــات حبـــهم القـــديم ، وخلفهم شعراء الأجيال اللاحقة يحاكونهم طوال العصور التالية لهم ، ولكنهم جميعاً لم يبلغوا مـن الألم والحسرة والحزن واللوعة ما بلغه البارودى فى حنينه إلى وطنه إبان منفاه ، ذلك أن حنينـــه لوطنه بعد المنفى يختلف عنه قبله ، حين نظم وهو غريب فى حروب البلقان يصـــور لوعتـــه فى قصيدته التى نظمها يوم عيد من أعياد الفطر واستهلها بقوله :[1]

أراك الحمى شوقى إليك شـــديد ... وصبرى ونومى فى هواك شريد

مضى زمن لم ياتنى عنك قـادم ... ببشرى ولم يعطف على بريـــد

وحيد من الخلان فى أرض غربة ... ألا كل من يبغى الوفاء وحيـــد

فهل لغريب طوحته يد النـــوى ... رجـــوعٌ وهل للحائمـات ورود

---

(1) ديوان البارودى جـ١ ص ١٧٢

فهو هنا لا يبلغ به اليأس فى العودة مبلغ ما استقر به فى منفاه ، إذ أن شعره فى المنفى يسيطر عليه اليأس فى العوده ، وهبه عاد فهل تعود أيام شبابه وأنسه وبهجته ، وقد فقد كل الأحبة والصحاب خلال فترة نفيه .

إن شعر الحنين لديه أثناء النفى يختلف عن حنينه قبل المنفى ويختلف كذلك عن شعر الحنين عند جميع الشعراء السابقين والمعاصرين وهذا تجديده الذى يحسب له .

العاطفة :

لم يعرف العرب هذا المصطلح ، وإنما عرفوا مضمونه وتحدثو عنه فى نقدهم تحت أسماء أخرى ، سموها مرة بالأسس والينابيع التى ينفجر منها الشعر [1] وسموها - كذلك - دواعى الشعر فى قول ابن قتيبه : " إن للشعر دواعى تحث البطئ وتبعث المتكلف ، منها الشراب ومنها الطرب ، ومنها الطمع ومنها الشوق [2] .

وقد تحدث ابن قتيبة عن هذه الدواعى وذكر منها الطمع والغضب والشوق والوفاء ، والواقع أن هذه القيم هى التى نطلق عليها فى مصطلحاتنا الحديثة ، اسم الانفعالات والعواطف وأوجز بعضهم هذه الانفعالات فى أربعة : الرغبة والرهبة والطرب والغضب ورأوا أن جميع أغراض الشعر تنبعث منها : " فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ن ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعقاب الموجع [3] .

كما رأى بعضهم أن هذه العواطف تملك بعض الشعراء فيجود شعرهم فى ناحية من الشعر ولذلك قالوا : أشعر الناس امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب ، كما رأى بعضهم أن الغربة من مثيرات الشعر وذلك لأنها تثير انفعال الشوق وعاطفة الحب.

وللعاطفة أهمية كبرى فى العمل الفنى ، فهى التى تمده بالقوة والتدفق والحيوية ، وتمنحه التأثير فى المتلقى ، وبقدر حرارتها وصدقها ، يكتب للعمل الفنى الاستمرار والخلود ، كما أنها

---

(1) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٧٧.

(2) الشعر والشعراء ص ٨

(3) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٧٧

هى التى تفرق بين العمل الفنى والعمل العلمى ، ومن خلالها يتمكن الناقد من الحكم بـــالجودة والإتقان أو التخلف والسقوط على العمل الأدبى.

وقد عرفها أحد النقاد المعاصرين بأنها " الحالة التى تتشبع فيها نفس الأديب والشـــاعر بموضوع أو فكرة أو مشاهدة ، وتؤثر فيه تأثيراً قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعـــراب عما يجول بخلده" (١) .

وقد تنوعت عواطف البارودى فى شعره الوطنى ، بتنوع الجزئية التى يعالجها فى قصيـده فنجو إذا تحدث محرضا قومه على الثورة نرى عاطفته وقد كساها الإشفاق والحزن على مـــا آل إليه أمرهم والرغبة العارمة فى استنقاذهم من براثن الذل والعبودية إذ يقول : (٢)

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصـــة ... وفى الدهر طرق جمة ومنـــافـــع
أصبرا على مس الهوان وأنتـــم ... عديد الحصى إنى إلى الله راجـــع
وكيف تروف الذل دار إقامـــــة ... وذلك فضل الله فى الأرض واسـع
أرى أرؤسا قد أينعت لحصـــادها ... فاين - ولا أين - السيوف القواطـع
فكونوا حصيدا خامدين أو افزعوا ... إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

وفى تقديرى أن الموضوعات العامة كالوطنية والاجتماعيات مثلا أكثر دلالـــة علـى شاعرية الشاعر حين يجيد لأن الموضوعات الخاصة كالغزل مثلاً تزجيه عاطفة ذاتية ، وتجد مـــن وقود التجربة ما يغذيها بالحرارة ويمدها بفنون القول ، أما العاطفة الوطنية مثلا فـــلا يســتطيع الشاعر الإجادة فيها إلا إذا تحولت لديه القضية الوطنية التى ينظم فيها إلى قضيـــة شـــخصية ، ينافح فيها ويتبناها ، وفى ذلك ما فيه من الدلالة على وطنية الشاعر ورهافة حسه واســـتجابته لأحداث وطنه .

وفى موطن آخر نراه وقد امتلأت عاطفته بالحنق والغيظ والمرارة على بعض الزمـــلاء الذين ضربوا الأمثلة العليا فى النفاق ، إلى أن كانوا سببا فى إخفاق الثورة العرابية ، وهو هنـــا يصور عمره الذى ضاع بينهم ويندم على زعامته لهم إذ يقول : (٣)

---

(١) النقد العربى الحديث ومذاهبه د. محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٥ مكتبة الكليات الأزهرية – الفجالة .
(٢) ديوان البارودى جـ٢ ص ٢١٢
(٣) ديوان البارودى جـ٢ ص ٣٣٨

أضعت زمانى بين قوم لو أن لى ... بهم غيرهم ما ارهقتنى الـــبوائق
فإن أك ملقى الرحل فيهم فإننى ... لهم بالخلال الصالحات مفـــــارق
معاشر ساروا بالنفاق ومالـــــهم ... أصـول أظلتـهـا فـروع بـواســق
فاعلمهم عند الخصومة جاهــل ... وأتقاهـم عنـد العفـافـة فاســق
طلاقة وجه تحتها الغيظ كاشـــر ... ونغمة ود بينها الغـدر نـاعـــق
وأخلاق صبيان إذا ما بلوتـــهم ... علمت بان الجهل فى النـاس نافق
ظننت بهم خيرا فابت بحـــسرة ... لها شجن بين الجــوانـح لاصــق
فياليتنى راجعت حلمى ولم أكن ... زعيما وعافتنى لــذاك العــوائــق

والشاعر فى هذه الأبيات يتهمهم بالنفاق والجهل والفسق إلى غير ذلك مـــن ســيئات الأخلاق ومنكراتها ، وبقدر حنقه عليهم يقاس ندمه على معاشرتهم ، ولوعته على العمر الـــذى ضاع بينهم وهذا الغيظ الذى يغلى فى صدره هو الذى دفعه إلى الإجادة هنا ، إذ لـــولا امتـــلا صدره بما يقول ، لما استطاع أن ينظم هذا النظم المثير الذى يؤثر فى المتلقى ، لأن الشعر إنما يثير المتلقى بقدر ما فيه من صدق العاطفة وحرارتها فى نفس المبدع ثم فى روعة التعبير عنها .

وتتسم العاطفة هنا بالصدق ، ومعنى صدق العاطفة أن يكون النص الأدبي منبعثاً عـــن انفعال صحيح غير زائف ، كما أن قوتها لا تتأتى إلا إذا كان الأديب قـــوى الشـــعور عميـــق العاطفة مهما كان قوى الفكرة أو ضعيفها ، فقد يكون الأديب غزير الفكـــر لكنـــه ضعيـــف الشعور كما نرى فى شعر أبى العتاهية وحافظ إبراهيم ، فلا ينال أدبهم وشعرهم رضـــا النقـــاد وإعجابهم ، وقد يكون الأمر بالعكس ، ويكون الأديب قوى الشعور ، ضعيف الفكـــر فيؤثـــر أدبه فى النفس تأثيراً كبيراً . (١)

ويغلب على شعر الغربة عند البارودى وعند غيره عاطفة الحزن والألم حينا ، وعاطفـــة التشوق والحنين حيناً آخر فمن النوع الأول الذى يدفع إليه الحزن والألم قول البارودى : (٢)

كفى بمقامى فى سرنديب غربة ... نزعت بها عنى ثيـاب العـلائـــق
ومن رام نيل العز فليصطبر على ... لقاء المنايا واقتحـام المضايـــق
فإن تكن الأيام رَنّقْنَ مشـــربى ... وثلمن حدى بالخطوب الـطـورق
فما غيرتنى محنة عن خليقتـى ... ولا حولتنى خدعة عن طرائـــقى
ولكننى باق على ما يـــسرنى ... ويغضب أعدائى ويرضى أصادقى

---

(١) انظر النقد الأدبي الحديث ومذاهبه د. محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٨ ، ٣٩
(٢) ديوان البارودي جـ ٢ ص ٣٥٦

هكذا استبد به الحزن واعتصره الألم ، فلم يجد ما يسرى به عن نفسه إلا صفحات مجد ، وأمارات نبل يتغنى بها فذكر أنه صاحب مبدأ لا يتغير ولا يتبدل وإنه سيظل دائما على خلائقه وقيمه ، يسر أصدقاءه ، ويحزن أعداءه.

وأيا كان الأمر فإن شعر البارودى قد اثار القارئ ، وأثر فيه ، ولا أبالغ إذا قلت إنه كان ذا تأثير واضح فى كل الذين خلفوه ، على تفاوت بينهم فى المدى الذى تأثروا به منه ، وهذه آية الآيات فى صدق عواطفه وثباتها وقوتها واستمرارها ، ولولا هذه القيم لسقط شعره وشاعريته ، ولما حفل بهما أحد.

الخيال :

هو تلك القدرة الكيماوية التى بها تمتزج العناصر المتباعدة فى أصلها والمختلفة كل الاختلاف كى تصير مجموعا متآلفاً منسجماً " [1] .

والخيال يستطيع أن يعثر على كل صور الأفكار فى الطبيعة فهو يحاكيها فى عمله ولكنه ينظم هذه الصور فى وحدة متكاملة تفوق ماهو متفرق فى الطبيعة .

على أن الكلاسيكيين حذروا من الخيال واعتبروه عقبة فى سبيل فهم الصورة ن يقول لابروير الكلاسيكى الفرنسى " يجب ألا تحتوى أحاديثنا أو كتبنا على كثير من الخيال لأنه لا ينتج إلا افكاراً باطلة صبيانية ، لا تصلح من شأننا ولاجدوى منها فى صواب الرأى أو قوة التميز أو فى السمو بحالنا فيجب أن تصدر أفكارنا عن الذوق السليم والعقل الراجح وأن تكون أثراً لنفوذ بصيرتنا" [2] .

لم يقف نقاد العرب لدراسة ألوان الخيال ، إلا عندما يمكن أن يكون تداعى معان فحسب ذلك أن باب الخيال قد حصرت دراسته عندهم فى ابواب المجاز المرسل ؛ والتشبية والاستعارة المبنية عليه ، والكناية ، وجميعها مبنية على تداعى المعانى ، لأن الصلة فى المجاز المرسل غير المشابهة ، ولكن هناك صلة أخرى تجمع بينهما ، كالصلة بين السبب والمسبب والمكان والحال فيه ، والجار ومجاوره والجزء و الكل مما يندرج تحت قانون تداعى المعانى [3] .

---

(1) النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمى هلال ص ٤١١ ، ٤٠٩ ط دار الثقافة بيروت (١٩٧٣) .

(2) النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمى هلال ص ٤١١ ، ٤٠٩ ط دار الثقافة بيروت (١٩٧٣) .

(3) اسس النقد الأدبى د. أحمد بدوى ص ٥٠٩ وراجع الصلات فى المجاز المرسل فى كتاب الإيضاح جـ ٢ ص ٨٨ .

هذا على الرغم من أن العرب قد عرفوا ألوانا كثيرة من الخيال ، منها الخيال الـــذى ينطق الجماد والأشجار وغيرها يشهد لهم بذلك تلك المناظرات التى عقدوها بين البلدان وبـــين الليل والنهار وبين القلم والسيف ... إلخ .

ومنها الخيال الذى ينطق الحيوانات ويجرى على ألسنتها ما ينبغى أن يجرى على ألســنة العقلاء ويجعلها تتصرف كما يتصرفون ، ومنها الخيال الابتكارى الذى يبتكر الشخصيات الــتى لا وجود لها وينسب إليها ما شاء من الأقوال والأفعال كما نرى ذلك فى المقامات التى أجادهــا بديع الزمان والحريرى ــ ومنها الخيال المغرق الذى لا يعرف حدودا كما فى حكايات ألف ليلة وليلة وقصة عنترة وغيرها .

ويرى نقاد العرب أن الكلام المشتمل على الخيال أروع تأثيراً فى النفس من الكـــلام الحقيقى وذلك لأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس بـــه ، ســريعة إلى التأثر بصوره ، وتمثيلا على ذلك فإنك إذا قلت للمتردد : اراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى كــان ابلغ لا محالة من أن تجرى على الظاهر فتقول : " أنت متردد فى امرك [1] " .

وبذلك يعلن النقاد العرب أن المجاز أبلغ من الحقيقة [2] ، بمعنى أن العبارة ذات المجاز ، افضل من العبارة نفسها إذا التزمت طريق الحقيقة .

وفى تقديرى أن هذا الكلام ليس مسلما به على إطلاقه ، لأننى أرى أن الأصل هو التعبــير الحقيقى ، ولا نلجأ إلى المجاز إلا إذا كان أعم وأوفى وأشمل وأجمل من الحقيقة ، بحيث إذا تســاويا فى التأثير والمحصول الفكرى ، كان الفضل للأسلوب الحقيقى بحسبانه الأصل بين الأساليب.

ذلك أن اللغة إنما وجدت مجردة أولاً من ايحاءات ألفاظها ، بمعنى أن كل لفظ وضـــع لمعنى وظل هذا المعنى ملازماً له ، والتصق به فى حالة التعبير به عن المضمـــون العلمـــى ، أمـــا الأساليب الأدبية فربما قصد الأديب والشاعر بالفاظه ، الإيحاءات والظلال التى تشعها حولهـــا والتى هى منبثقة عن المعنى الأصلى ، وعلى هذا فإيحاءات الألفاظ ناجمة عن المعنى الأصلى المجـرد بحسبانه الأصل .

---

(1) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجانى ص ٥٥–٥٨

(2) السابق ص ٣٢٧

وفى الجانب التطبيقى نجد البارودى وقد جلس ذات مساء علـــى ربـــوة خضـــراء فى البلقان اثناء اشتراكه فى الحروب هناك مع الدولة العثمانية ، أخذ يتذكـــــر النيـــل وخضرتـــه وأحباءه فى مصر ، فكتب إلى صديقه حسن المرصفى يصف شدة شوقه وحرارة لهفته لبلـــده إذ يقول :[1]

فيا قلب صبرا إن الم بك النوى ... فكل فراق أو تلاق له حـــــــد
وبى ظما لم يبلغ الطار ريـــــه ... وفى النفس أمر ليس يدركه الجهد

إنه يعلل قلبه بالصبر على قسوة الفراق ، ويسلى نفسه بتلك الحكمة فى الشطر الثـــانى بأن كل شيئ له نهاية ومهما طال الليل فلابد من طلوع الفجر ، والأيام دول فلا فرح يدوم ولا عناء ، وفى البيت الثانى يصور مدى شوقه لمصر بالصحراء الظمأى التى لا ترويها مياه الدنيـــا ، ويشبه أمانيه وآماله نحو بلده بأن معطيات الحياة لا تكفى لتحقيقها ، وهذا أبلغ ولا شك ممـــا لوقال : إنى فى أشد الاشتياق لوطنى.

والبارودى يتمتع بملكة خيالية تتيح له تصوير المشاهد الحسية تصويرا ينبض بالحركـــة والحيوية ، وهذه ربما يستطيعها الكثيرون ن أما تصوير المشاهد النفسية والخلجات الباطنية فـــهو مناط القدرة الفنية للشاعر ، ويقاس نجاحه بقدر ما يستطيع أن يجلى من معانى نفسه .

ومن التصوير الحسى قوله يصف شدة بأس الصقر وفكته بضعاف الطيور ، وهو مـــن الشعر الوطنى الذى يصف فيه جمال الطبيعة المصرية [2] :

أربى على شمراخ أرعن باذخ ... سام له فوق السحائب طاق
نهمان يعتلق القطا بمخالـــب ... حجن لهن بوقعها تصعاق (٢)
لا يستقر به الجناح وطرفـــه ... متقلب يسمو به الإرشـــاق

إذ يصور فى هذه اللوحة قوة الصقر التى تمكنه من الطـــيران فـــوق الســـحاب ، ثم انقضاضه من أعلى مفترسا ضعاف الطيور أمثال القطا ، فيصيبها بالصعق ، عندما ينشب فيـــها

---

(١) ديوان البارودى جـــ ١ص ١٦٣ .
(٢) السابق جت٢ ص ٣٠٢ .
(٣) أربى : علا ، الشمراخ : قمة الجبل ، ارعن : الجبل العالى ، باذخ : شامخ ، سام : شاق ، طاق : النتوء البارز ، نهمان : نهم أى جانع ، يعتلق : يقبض ، حجن : معقوفة معوجة كالخطاف ، تصعاق : صعق ن الإرشاق : تحديد النظر

مخالبه القوية المعقوفة كالخطاطيف ، وبعد ذلك مضى الشاعر يصور قوة الصقر وهو يـــدوى فى السماء مرسلا بصره للبحث عن صيد يقع عليه .

والتصوير الحسى ما لم يكن له جذور نفسية يريد المبدع أن ينقل تاثيرها إلى المتلقى فهو هـراء والمعروف أن القدماء لم يقفوا طويلا عند الجامع الحسى ، ولكنهم اعتقـــدوا أنـــه إذا اشـــترك الشيئان فى صفة محسوسة ، كان ذلك مبررا لعقد التشبية بينهما ، وهذه الفكرة قد جنت علـــى الادب العرب "إذ عقد كثير من الأدباء تشبيهات ، روعى فيها الجانب الحسى فقط ، دون نظـــر إلى الواقع النفسى للأشياء ، فشبه بعض الشعراء مثلا الورد بحمرة الرمد ، ناظراً إلى اللون الأحمـــر فحسب ، أما نفور النفس من الرمد وابتهاجها برؤية الورد فمما لا يدخل فى حساب الشاعر " [1].

والبارودى لا يقل روعة ولا تمكننا فى تصوير اللقطات والمشاهد النفسية ، وقد ظلـــت حياته فى غربة أثناء نفيه ، وخلالها لم يتوقف شعره عن الحنين والأنين وتصوير لوعتـــه وغربتـــه وأمله فى العودة إلى وطنه الحبيب .

ذلك أن الشاعر وجد فى بث خواطره وأشجانه وذكرياته فى صور شعرية جميلة خـــير عزاء ، حيث إن الأدب " دليل على المروءة ، وصاحب فى الغربة ، ومؤنس فى الوحشـــة "[2] والاستعارة - وهى إحدى مظاهر التصوير الفنى فى الشعر - إنما تبلغ شرفها عند الإمام عبـــد القاهر وتصل إلى أبعد مدى فى الرفعة ، إذا كانت الصلة التى تربط المشبه والمشبه به ، وبنيـــت عليها الاستعارة أمراً نفسياً لا حسياً [3] .

وهذا مايراه النقاد المحدثون حيث يرون أن الحواس وحدها لا تصلح أن تعقد صلة بـين شيئين بل لابد أن يكون الشعور النفسى هو الذى يعقد هذه الصلة إلى جانب الحواس .

فالعقاد قد أخذ على شوقى " أنك تعرف شعره بعلامة صناعته وأسلوب تركيبه كمـــا تعرف المصنع من علامته المرسومة على السلعة المعروضة ، ولكنك لا تعرفه بتلك المزية النفســية التى تطوى وراء الكلام وتنبثق من أعماق الحياة ، وإنما يستحق الشعر أن يسمع ويحفظ حـــين يرينا ما فى الدنيا وما فى نفس إنسان ، أو نعرف فيه الطبيعة على لون صادق ، ولكنه لون بديـع

---

(1) أسس النقد لأدبي د. احمد بدوى ص ٢٨٥

(2) مجلة منار الا لام عدد شهر رجب ١٤١٨ هـ

(3) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ٣٢،٣٣ .

فريد لأنه لون القائل دون سواه ـ فتجتمع لنا غبطة المعرفة من طرفيها ـ ويتسع أمامنا افق الفهم وافق الشعور [1] .

وقد بين العقاد وظيفة التشبيه الحقيقة فيما ساقه لشوقى من نقد فقال : أعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر هو من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى اشكالها وألوانها وأن ليست مزية الشاعر أن يقول عن الشيئ (ماذا يشبه) وإنما مزيته أن يقول ماهو ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به ، وإذا كان وكدك من التشبية أن تذكر شيئا أحمر ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله فى الاحمرار فما زدت على أن ذكرت اربعة أو خمسة أشياء حمراء ، وما ابتدع التشبية لرسم الأشكال والألوان ، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس وبقوة الشعور وعمقه وتيقظه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه [2] .

ولسنا هنا ـ على أى حال ـ بصدد مناقشة نقد العقاد لشوقى ، إنما الذى يعنينا هنا أن نقرر صواب نظرات العقاد النقدية ، ودقة تقنينه النظرى لوظيفة التصوير الشعرى ، فإذا استعرضنا حظ البارودى فى هذه السمة التصويرية للنفس البشرية رايناه يتمتع بالجانب الأكبر منها رغم أنه يعد الأستاذ الذى تتلمذ شوقى وأبناء جيله على يديه ، وانظر إلى قول البارودى فى غربته ، يصور حرارة شوقه وحرقته إلى وطنه ، ويشبه ذلك الشعور النفسى بغلة الظمأ التى تسرى فى أوصال الإبل العطاش ، التى طال حرمانها من الماء ، وتتمنى لو أصابت منه شيئاً تنقع به أكبادها المتصدعة فى الحرب [3] .

متى ترد الهيم الخوامس منهلا ... تبل به الأكباد وهى عطاش
أرى الغيث عم الأرض من كل جانب ... وموضع رحلى لم يصبه رشاش
فهل نهلة من جدول النيل ترتوى ... به كبد ظمآنة ومشاش
وهل من مقيل تحت أفنان سدرة ... لها من زرابى النبات فراش
لدى أيكة ريا الغصون كأنما ... عليها من الزهر الجنى رياش(٤)

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى عباس محمود العقاد ص ١٦٠

(٢) الديوان فى الأدب والنقد عباس العقاد وابراهيم المازنى ط ٢ دار الشعب ص ٢١

(٣) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٦٥

(٤) الهيم : الإبل الظامئة ، الخوامس : التى ترد فى اليوم الخامس ، المنهل : المورد ، نهلة : جرعة المشاش : رءوس العظام اللينة ، المقيل : الاستراحة من شدة الحر وقت القيلولة ، الأفنان : الأغصان السدرة : شجرة النبق ، الزرابى : البسط والنمارق ، رياش : الزينة

يصور فى هذه الأبيات حالة الألم والعذاب التى تعتريه إذ يتلفت حوله فيرى الغيث يعم جميع البقاع بينما ينأى الماء عن مكانه فلا ينال منه حتى الرذاذ والرشاش ، ويتمنى جرعة ماء من النيل الحبيب يروى بها كبده الظمأى ، ويبل بها عظامه الواهنة وجلسة تحت أغصان أيكة ريا الغصون تنمو فوق بساط أخضر من النبات الأنيق .

وتصوير الشاعر هنا كفيل بأن يبعث فى كل نفس ، الشوق والرغبة فى التمتع بجمال طبيعة هذا الوطن الذى يتحدث عنه وعن روعة مناظره وكثرة خيره وعطائه ولا تتخلف هذه الملكة التصويرية البارعة فى جميع تشبيهات البارودى وصوره المبثوثة فى كل شعره . وكأنما ايتح له أن يستبطن الأشياء ويستكنه الأحداث فتنكشف له روحها ، لينفذ فيه باللباب ، وإذا كانت صور القدماء وتشبيهاتهم تسرى فى اسلوبه فقد فجرت خياله ووسعت آفاق تصويره فمضى يجدد فى القديم ويبعث فى ميته الحياة مرة أخرى مثل قوله فى الهلال : [1]

وقد مال للغرب الهلال كانه　　بمنقاره عن حبة النجم يفحص

وقوله فى شفق الصباح :

وليلة سالت فى أعقابها شفق　　كانها بحسام الفجر قد ذبحت

ومن الصور التى أعجب بها بعض النقاد للبارودى [2] قوله متعجبا من ظمأ عينيه لرؤية محبوبته بينما يغرق إنسانها فى لجة ماء الدموع [3] .

عحبت لعينى كيف تظما دونها　　وإنسانها فى لجة الماء سابح

وفى تقديرى أنها صورة مرذولة لا ترتقى لما يبدعه فى معظم صوره ، ذلك أن ظمأ عينه فى الشطر الأول ظمأ لرؤياها ، والاكتحال بمرآها ، وتصويره شدة الشوق لرؤيا حبيبته بالظمآن إلى الماء ، تصوير بديع ، لكن الشطر الثانى هبط بنا من سماء التحليق فى الأول إلى وديان الماء ومجارى دموعها فى الشطر الثانى ، إذ أنه معنى علمى بحت ،يمكننا أن نعبر عنه بقولنا : إن إنسان العين يسبح فى مائها فأى شعرو أى شاعرية فى هذا ؟ !!

ومن صور البارودى الرائعة قوله يصف هرمى الجيزة الكبيرين [4] .

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ١٦٧ .

(2) البارودى رائد الشعرا لحديث د . شوقى ضيف ص ٢٠٢ .

(3) ديوان البارودى جـ ١ ص ١٠٧ .

(4) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٤٧ .

كانهما ثديان فاضا بدرة من النيل تروى غلة الأرض إذ تجرى

وقد أكثر فى سرنديب من بكاء أيام لهوه وأنسه وشبابه، وله فى هذا المجال صور رائقة كقوله : [1]

عهد كطيف زارحـــتى إذا أشرق صبح من مشيبى مضى

ما كان إلا كنسيم ســـرى وعارض غام وبرق أضـــا

ولى ولم يعقب سوى حسرة بين الحشا كالصارم المنتـــضى [2]

وقوله وقد تذكر إحدى ليالى بهجته وأنسه : [3]

ولت فلم يبق منها غير فذلكة تلوح فى دفتر الأوهام والذكر [4]

والبارودى مفعم بالتصوير القديم والخيال البدوى ، لكنـــه لم يفـــن فيـــه ولم تتـــلاش شخصيته ، وإنما وصلنا بالماضى عن طريق الحاضر ، وصلا رفيقا ، وصل به إلى التأثير فى قلوبنـــا وأفئدتنا ، ونسجل هنا نموذجا من حنين لوطنه وهو فى منفاه ، يعبر خلاله عن شدة شوقه لتراب هذا الوطن ، ومياهه ورياضه ، بصور بدوية ممعنة فى البداوة ، حيث يتمنى جرعة ماء من بـئر فى منعطف واد ، ويتمنى الاضطجاع مرة على الرمل البارد ، ويتمنى أن يشم أريج نسمة محملـــة بروائح الأزاهير المنبعثة من أرض البادية إذ يقول :

يا حبذا جرعة من ماء محـــنية وضجعة فوق برد الرمل بالقاع

ونسمة كشميم الخلد قد حملت ريا الأزاهير من مـــيث وأجراع

يا هل ترانى بذاك الحى مجتمعا باهل ودى من قومى وأشياعى

وهل أسوق جوادى للطراد إلى صيد الجآذر فى خضراء ممراع [5]

وفى البيت الأخير يتمنى أن يقوم بجولة على فرسه لصيـــد الجـــآذر المنتشـــرة وســـط الأعشاب ، وقد استطاع الشاعر فى هذه اللوحة أن ينقلنا إلى البادية وتنقل بنا فى بعض جنبـــات الطبيعة الجميلة بها فغدونا كأننا من أهلها ، وهى لوحة تدل على شاعر عـــاش هـــذه الحيـــاة ، وعايش أهلها فى حلهم وترحالهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، فإذا عرفنا أنه شاعر نشـــأ وعـــاش فى

---

(١) السابق جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) عارض : السحاب ، غام : تراكم . أضاء الحشا : السيف ، المنتضى : المسلول .

(٣) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٩١ .

(٤) الفذلكة : البقية ، الذكر : جمع ذكرة .

(٥) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٥٨ .

العصر الحديث ، وأنه إنما استرفدها من قراءاته فى نتاج السابقين ، أدركنا مدى ما كان يتمتع به من ملكة خيالية خصبة ، وقوة تصويرية بارعة .

ويكاد يكون البارودى أول من أدرك من المتأخرين فى الأدب الحديث ، أن للعصر حقا على الشاعر ، وأن الاعتراف بفضل الأقدمين فى اللغة لا يلزم الشاعر أن يتقيد بهم فى المعانى والتشبيهات ، وهذا سبب إشاراته لبعض مستحدثات العصر كالكهرباء إذ يقول فى وصف النجوم [1] .

وترى الثريا فى السماء كأنها ... حلقات قرط بالجمان مرصع
وكأنها أكثر توقد نورها ... بالكهرباءة فى سماوة مصنع

كذلك لمح البارودى بذكر الكهرباء فى نثره إذ يقول فى رسالة إلى أصحابه وهو فى " سرنديب " فحدثت نفسى بمد أسلاك المراسلة لتبادل كهرباء المودة معكم " .

وقد يكون فى ذكره لأسماء هذه المستحدثات إقحام متكلف لا يستحسن من الشاعر غير أن هذه البوادر العرضية لا تنفى أن الرجل كان مطبوعا على وصف ما يحسه لأنه يحسه ، لا أنه يحكى به الأقدمين أو المعاصرين ، ولو لم يكن كذلك لما خطر له أن يصف القطن حيث وصفه فقال على قافية الألف المقصور : [2]

ملتف أفنان الحدائق لو سرت ... فيها السموم لشابهت ريح الصبا
فترابه نفس العبير ونبته ... سرق الحرير ماؤه فلق الضحى
فإذا شمت وجدت أطيب نفحه ... وإذا لتفتت رأيت أحسن ما يرى
والقطن بين ملوز ومنور ... كالغادة ازدانت بانواع الحلى
فكان عاقدة كرات زمرد ... وكان زاهره كواكب فى الرؤى
دبت به روح الحياة فلو وهت ... عنه القيود من الجداول قد مشى
فاصوله الدكناء تسبح فى الثرى ... وفروعه الخضراء تلعب فى الهوى

فلو لم يكن فى البارودى قوة الطبع إلى جانب المحاكاة ، لما خطر له أن لوزات القطن مما يوصف فى القصائد ، لأنهم كانوا لايصفون إلا الورد والجلنار والنرجس والريحان والنوار [3] .

---

(1) ديوان البارودى جـ ٢ ص ٢٤٣ .
(2) ديوان البارودى جـ ١ ص ٣٦ .
(3) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى عباس العقاد ص ١٤٦ .

هذا ومن أكثر قصائد البارودى لوعة وحزنا ، تلك القصيدة التى تتسم بروعة التصوير الفنى عنده ، قصيدته فى رثاء زوجته ، حين فوجئ بنعيها ، يصله بسرنديب على غير توقع ، وقد صور فيها الألم الممض الذى يتوالى عليه وتتعدد روافده من غربة ووحشة بسرنديب إلى فقد زوجته الشابة الجميلة وقد كانت كل شئ فى حياته ، إلى استشعاره المسئولية تجاه صغاره بعد أن ماتت الأم فصاروا بلا عائل ولا وال إذ يقول : [1]

أيد المنون قد حت أى زناد ... وأطرت أية شعلة بفؤادى
أوهنت عزمى وهو حملة فيلق ... وحطمت عودى وهو رمح طرادى
ما كنت أحسبنى أراع لحادث ... حتى منيت به فاوهن آدى
أسليلة القمرين أى فجيعة ... حلت لفقدك بين هذا النادى
أعزز على بان أراك رهينة ... فى جوف أغبر قاتم الأسداد
أو أن تبينى عن قرارة منزل ... كنت الضياء له بكل سواد
هيهات بعدك أن تقر جوانحى ... أسفا لبعدك أو يلين مهادى

والأبيات تصور قلبا يتلظى ، وصدرا ينتحب ، وحزنا لا تنطفئ جذوته على زوجته التى أوهن فقدها عزمه ، وهد عظامه ، وأسال دموعه مدرارا وخيال الشاعر يسرح إذ يراها وقد رحلت عن المنزل الذى كانت ضياؤة وروحه ، وذهبت إلى قبر قاتم وواراها التراب ، فلا تكاد نفسه تقوى على تحمل هذه الصورة ، ولا يقرله قرار ، وستظل حياته بعدها فى هم مقيم وجحيم لا يطاق .

---

(1) ديوان البارودى جـ ١ ص ١٨٩ .

الخاتمة

تعرضنا خلال هذه الدراسة للوطنية فى شعر البارودى ، وقد صدرناها بمقدمة توضح الأهمية القصوى لظهوره فى التوقيت الذى ظهر فيه ، فعندما قيضه الله للنهوض بهذا الفن العربى الخالد ، تفتحت عيناه على الساحة الشعرية ، فلم يجد إلا نظما خاويا لا يمت إلى الشعر بأى لون من ألوان العاطفة والشعور ، حيث غصت معظم دواوين النصف الأول من القرن التاسع عشر بألوان مختلفة من الغثاثة واللعب كالألغاز والتأريخ والتطريز والتخميسات والتشطيرات ، وتحول هذا الفن الجميل إلى ضروب ممجوجه من التكلف فى الصناعة ، وغدا يوظف فى مديح وال أو تهنئة بمولود أو تأريخ لوفاة ، إلى غير ذلك من الأغراض غير السامية .

أما خلال النصف الأول من القرن العشرين فيستطيع المحقق فى تاريخ الأدب أن يميز ثلاثة أجيال يمثل أولها : الاتجاه الذى أطلق عليه " المحافظون " وهؤلاء هم الذيم تأثروا بحركة الإحياء والبعث الأدبى ، وربطوا بين ماضينا وحاضرنا بأواصر قوية ، ويمثل ثانيها : الشعراء المعتدلون الذين لم يتجمدوا عند القديم ولم يفنوا فى الجيد ، وإنما توسطوا بين الموروث والحديث ، عندما اشتدت الصلة بين الشرق والغرب نتيجة عوامل النهضة الحديثة كالتعليم والترجمة والطباعة والبعوث والرحلات والصحافة والإذاعة ، مسموعة ومرئية وقد حظى هؤلاء بشهرة واسعة خلال الربع الأول من القرن العشرين .

أما الجيل الثالث فيمثله الشعراء الذين جاء نتاجهم أثرا مباشرا ، لتغلغل الثقافة فى حياتنا وثقافتنا .

وكان ذلك نتيجة طبيعية لعوامل النهضة الحديثة التى أخذت تعمل عملها ، ونؤتى أكلها فى البيئة المصرية فظهر أثر الصحافة فى الحياة الاجتماعية ، وأخذ الكتاب والشعراء يتخلون عن قيود السجع والبديع والتكلف ، ثم أخرجت المطابع دواوين العمالقة من القدماء كالمتنبى وأبى نواس والبحترى وابن خفاجه وغيرهم ، من هذا الشعر الذى يترجم بأمانة وينقل بصدق صورة ن نفسية الشاعر ويتسم بقوة العاطفة وسمو الخيال وإشراق الديباجة ، وكل هذا أدى إلى تطور الذوق شيئا فشيئا حسب تطور الحياة الاجتماعية الثقافية .

ورغم تواجد هذه الأجيال متلاحقة أو متزامنة ، فعند إنعام النظر والحكمه بحيدة وإنصاف فإننا نجد الشعر قد أسلم مقاليده ولواءه إلى البارودى زعيم التيار الأول الذى يعرف بالمحافظين ، وبعد ظهوره بربع قرن تقريبا استطاع أتباعه من رجال مدرسته وعلى رأسهم شوقى وحافظ وعبد المطلب والرافعى والقاياتى والكاظمى والجارم وغيرهم ، وقد تمسك هؤلاء بالنسق الموروث فى الشعر ، أن

حافظوا على تقاليده القديمة الأصيلة التى انتهجها العرب من فصاحة اللغة ورصانة الأسلوب والالـتزام بعمود الشعر مع تضمين ذلك قضايا عصرهم وهموم أمتهم وآمالها .

وفى الفصل الأول من هذه الخاتمة : استعرضت فى إيجاز – غير مخل رحلة حياة البـــارودى – والتحاقه بالمدرسة الحربية ، ثم عمل فى خدمة الجيش المصرى ، والوقائع الحربية التى خاضها والرتـــب العسكرية التى نالها ، واشتراكه فى حروب الدولة العثمانية ضد روسيا و المناصب التى تقلدها ومنـــها مدير الشرقية ثم محافظ للقاهرة ثم وزير ثم رئيسا للوزراء ثم اشتراكه فى الثـــورة العرابيـــة ونفيـــه إلى سرنديب .

كما تعرض البحث لصفات البارودى التى كان لها الأثر الكبير فى توجهه الشعرى وسمت بـــه إلى أريكة القيادة الشعرية فى العصر الحديث ، ثم ذكرنا روافد ثقافته المتعددة التى رصدنا منها عكوفـــه على دواوين الأقدمين فى عصور الشعر الزاهرة ، واطلاعه على آداب أخرى فى غيرا لعربية حيث إنـــه كان يتقن التركية والفارسية إتقانا مكنه من نظم الشعر بها ، وتعلم كذلك اللغة الانجليزية فى منفـــاه ، وأثر فيه تتلمذ على مدرسة جمال الدين الأفغانى ، حيث نمت فيه بذور الإصلاح الاجتماعى وإيقـــاظ الوعى القومى ، كل هذه العوامل غذتها موهبة نادرة وثقافات متنوعة ، وتجارب حافلة ، أثمرت هـــذه العبقرية الفذة .

ثم تحدثنا عن البارودى وعصره ، وقد أتضح أنه كان صورة لعصره ، وكان ترجمانـــا أمينـــا وصادقا لمشاعر مصر ، قبيل الثور العرابية وما بعدها ، وهذا خلافا لما يراه بعـــض البـــاحثين مـــن أن البارودى لم يعطنا صورة واضحة لمعالم العصر ، ولم نر فيه صدى للأحداث الوطنية الكـــبرى ، وقـــد تصدينا لهذا الرأى بالتفنيد ، وذكرنا أن تصوير الأحداث الكبرى لا يكون أثناء احتدام المعارك ، وإنمـــا يحتاج الشاعر بعد الأحداث إلى فترة تختمر فيها مشاعره ويتأملها فى أناة وهدوء ، ثم يعيد صياغتـــها ، كما أن الثورات عمل اجتماعى تناسبه الخطابة أكثر من الشعر ، لأن الشعر عمل فردى والخطابة تعبير عن نبض الجماهير ، ورصدنا دخول البارودى السجن ، الأمر الذى جعله ينعى حظ مصر ، ويســخط على حامها الظالمين .

ثم تحدثنا عن بواعث اتجاه البارودى للشعر الوطنى ، وذكرنا من هذه العوامل ، ما يتمتع بـــه من حس وطنى قوى نتيجة نشأته وتربيته وبيئته ثم معايشته الدائمة للحياة العسكرية ، وكذلـــك مـــا يتمتع به من رهافة الحس ورقة الشعور ، كما أتاح له تقلبه فى المناصب المختلفة مدنية وعســـكرية أن يقف على الثغرات والحيل التى ينفذ بها الظالمون والمستبدون لتقويض حرية الأمة واستغلال خيراتهـــا ،

كما أن الرحلات العسكرية التى قام بها غرست فيه الروح الوطنية وجعلته مستعدا دائما للتضحية ومقاومة الاستبداد .

وفى الفصل الثانى : استعرضت اتجاهات الشعر الوطنى عند البارودى . وقد استغرقت مصر وطبيعتها وآثارها ، ومقاومة الاستبداد فيها كثيرا من جهده ولعلى لا أبالغ إذا قلت : إن البارودى قد وظف حياته ونتاجه لمصر وحبه وولائه لها ، بحيث لم يترك مظهرا جماليا ، يزين الوطن فى قلوب مواطنيه ، ويهيئه للتضحة من أجله إلا تحدث فيه ، بما فى ذلك من جمال الطبيعة وتحدث عن القطن المصرى ووصف لوزارة فى نظم غير مسبوق حيث كان السابقون يتحدثون عن الورود والرياحين والجلنار ومل إليها .

وقد مدح البارودى " الخديوى توفيق " لكنه مديح ينطوى على مطالبته بعقد مجلس شورى النواب وإصدار الدستور أما الاتجاه الثانى فى توجهه الوطنى فيتمثل فى استنهاض الهمم وإثارة العزائم ، ولعل هذه الروح قد استقاها من تتلمذه على جمال الدين الأفغانى ، وفى هذا الاتجاه أخذ يصيح فى قومه ناصحا لهم بأن يهبوا ويستيقظوا ويقفوا فى وجه المستبدين والطغاة ، حاثا لهم على اغتنام الفرصة للعمل الجاد ، لكسب المنافع بشتى الطرق ، والتسلح لذلك بقوة العلم الذى تقوى به شوكه الأمم ، وإليه يرجع الفضل فى كل تقدم فى مختلف نواحى الحياة .

ومن اتجاهات شعره الوطنى أيضا حروبه المتواصله منذ بداية حياته وانتهاجه طريقا جادا بعيدا عن اللهو والملاذ الحسيه ، التى تستهوى أنداده وأترابه من الشباب ، لأنه فطر على حب البطولة والأبطال ، ومن ثم عكف على أن يجعل من نفسه أحد هؤلاء الأبطال الكبار / كما جاء حديثه وهو فى منفاه حديثا ينبض بالحرارة ، ويفيض باللوعه ، والحق أن هذا اللون عنده يختلف عن شعر الغربة والحنين عند غيره بل يختلف عن شعره أثناء رحلاته وحروبه التى اشترك فيها فى البلقان وغيرها حيث إن شعره هنا لم يبلغ أى شعر سواه مبلغه من الألم والحسرة والحزن لأنه كان ينظمه وهو فى يأس من العودة إلى وطنه بخلاف شعر الغربة عند سواه من الشعراء . فقد نظموه شوقا إلى من يعشقون مع يقينهم بلقاء من يحبونهم يوما إن عاجلا وإن آجلا .

وجاء الفصل الثالث : لدراسة بعض الخصائص الفنية فى شعر البارودى الوطنى ، والمعروف أنه قد استعار من القدماء إطارهم الذى يقوم على قوة الاسلوب وجزالته ورصانته ، ولكنه ملأ هذا الإطار وذلك الوعاء بروحه وشخصية وقضايا عصره وأمته ، ومن هنا كان تميزه وامتيازه ، وأخذ مكانه فى الشعر الحديث ، حيث استطاع أن يرد إليه مقوماته الفنية التى تخلت عنه أيام انشغال شعراء العصور السالفة بالتأريخ والتشطير والتخميس خلال عصور الضعف والاضمحلال الفكرى والثقافى ، فقد

تخطى البارودى كل هذه العصور ليبدع شعرا عبقريا متخطيا به حدود الزمان والمكان واستطاع أن يفرض نفسه وشعره وشاعريته على حياتنا الأدبية بما يحمله من قيم الأصالة والتقاليد العربية وبما يصوره من قضايانا وحياتنا بكل ما فيها من آفال وآلام

فمن ناحية الألفاظ والأساليب ، كانت الألفاظ تتوالى على لسانه فى يسر وسلاسه وتدفق وهى ترتبط بالفصحى بأسباب قوية . وبين وعليها الوقار والجلال ، وكأن الشاعر يتخيرها تخيرا وينتقيها انتقاء ، بحيث تأتى كل لفظه موائمة ومواكبه لموضوعها وغايتها ، فكان يرق ويلطف فى موطن الرقه ، ويشتد ويحتد فى مواطن البأس والشدة ومواطن الفخر بنفسه وبأمته وكان يتوسط بين هذا وذاك عندما يصف الطبيعة المصرية بنخيلها وقطنها ورياضها وغدرانها . وربما وردت على لسانه لفظة أو أكثر من مخزونه القديم ، فبدت معرفة فى البداوة موغلة فى النفور من ذوق العصر الحديث ومرد ذلك إلى أمرين أولهما بعد المسافة الزمنية بيننا وبين البارودى وثانيهما : تأثرنا بما يدور على الساحة الاجتماعية والثقافية من ألفاظ لا يمت أى منها إلى هذه البداوة .

وعلى أيه حال فإن معظم الألفاظ التى وردت على لسان البارودى بهذه الوعورة أقل مما كان يتوقع البارودى بحكم اعتناقه الأدب القديم فى أشكاله وأطره وهو حافل بهذه الألفاظ وتلك الأساليب . وهذه تحسب للبارودى فى ميزان تجديده من حيث إنه حاول قدر الإمكان أن يطوع الألفاظ القديمة ويروض أساليبها لتكون فى متناول المعاصرين ، وذلك عن طريق استخدامها الاستخدام الأمثل الذى يقلل من وحشيتها ونفورها .

ومن ناحية المعانى والمضامين ، عمد البارودى إلى المعانى السامية ، والقيم الراقية ، وقد نظم فى جميع الأغراض التى تناولها السابقون ، كالشكوى والحنين إلى الوطن والوصف والفخر والمديح ولكنه أجاد إجادة لا نراها عند غيره ، لأنه لم ينظم إلا عن شعور صادق واحساس حقيقى ، غير أنه فى تناوله لهذه الأغراض ، لم يملأها بمعانى السابقين وقضاياهم وإنما أخذ الأطر والأشكال والقوالب ، وصاغ فى أوعيتها قضايا بلده وهموم أمته ومن ثم أطلق على مذهبه الفنى اصطلاح الكلاسيكية الجديدة .

وفى مجال العاطفة : لم يكن لدى البارودى ما يستدعى الكذب أو التملق أو النفاق ، من هذه البواعث التى قد تصلح للنظم لكنها لا تصلح للشعر بأى حال . لأنها تحيل الشعر إلى نظم بارد غث لا يمت للشعور بأى صله والشعر إذا خلا من الشعور فقد خلا من الشعر ، وهو من يكون شعرا مؤثرا إلا إذا أثر فى المتلقى وأثاره وغرس فيه مشاعر مشابهة لمشاعر المبدع والأديب

وقد كانت كل دوافع البارودى حرية بالإجادة والتفوق من الملكة الخصبة والموهبة النـــادرة والخيال اللماح واللغة التى تمكن منها تماما ، والمعانى التى تنساب على لسانه انسيابا سلسا متدفقـــا . ولذلك جاء شعره متسما بحرارة العاطفة التى تؤثر فى القارئ حتى فى شعر الحكمة عنده والذى عـرف أنه يخاطب منطقة العقل والفكر ، استطاع البارودى أن يحيلها إلى حكمة وجدانية ، تزجيـها عاطفـة الشاعر متآزرة مع فكره .

أما الخيال فى شعر البارودى فقد اتسم بقـــوة التحليـــق فى سمـــاء الجـــاهليين والعباســـيين والإسلاميين إلى الدرجة التى استطاع بها أن ينقلنا إلى البادية . فصرنا كأننا نعيش بين أهلها ، نتنسـم هواءها ، ونتقلب بين وديانها وجبالها ووهادها ، ونتعامل مع طبيعتها الوعرة ، ولاحظنـــا أن خيـــال البارودى لم يقف عند حدود وعقد الموازنات الحسية فقط ، بل تعدى ذلك إلى تصوير الواقع النفســى للأشياء وتصوير حركة النفس الداخلية عند شعورها بالأشياء . لأن الوقوف عند مشارف التصويـــر الحسى لايدل على نفس حيه ، بقدر ما يدل على قدرة المصور على التفنن فى اختلاق الصور الجـــامدة التى لا تنبض بالحركة ولا بالحياة ، والتصوير ما لم يوقظ فى نفس المتلقى إحساسا بالحيـــاة وعمقـــا فى الشعور بها ، كان تصويرا شكليا لا شعريا .

وفى هذا الصدد تميز تصوير البارودى عمن قبله من الشعراء ، حيث كانوا يبحثـــون عـــن الجامع فى كل ، أى أوجه الشبه الشكلية والحسية بين الشيئين دون النظر إلى ما وراءهما مـــن شـــعور بالحياة ويقظة لها ، ولو أدى ذلك إلى تنافر الإحساس والواقع النفسى بين المتشابهين ..

هذا ولا يزال البحث فى حاجة للحديث عن القيم الصوتية والموسيقية فى وطنيات البـــارودى وكذا نصيبه من الوحدة الفنية والموضوعية والعضوية وغيرها من القيم الفنية .

غير أننا نكتفى بما رصدناه من الظواهر والخصائص ، ونحسبها تلقى الضوء فى هذا الطريـــق لمن أراد أن يسير حتى النهاية ، وتلفت نظر الباحثين إلى أن تتاح أحد الوطنيين المخلصين من رجـــالات هذا الوطن العظيم ، الذين لهم فى أعناقنا دين يجب أداؤه فإذا استطاعت هذه الدراسة المتواضعة أن ترد بعض الجميل للشاعر فذلك ما أردت وإن لم ترق إلى ما هدفت فالكمال لله وحـــده وحســبى أننـــى حاولت وبذلت الجهد خالصا لله تعالى والله الموفق ،

الباحث

د / رزق محمد داود .

مصادر البحث ومراجعه

١. الأدب العربى المعاصر فى مصر . د . شوقى ضيف دار المعارف طـ٥ (١٩٧٤) .

٢. أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجانى (مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر) .

٣. أسس النقد الأدبي عند العرب د . أحمد بدوى دار نهضة مصر – الفجالة القاهرة ط (١٩٧٩ م) .

٤. الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح لجلال الدين القزوينى شرح الاستاذ عبد المتعال الصعيـدى (المطبعـة المحمودية التجارية بمصر) .

٥. البارودى رائد الشعر الحديث د. شوقى ضيف طـ٢ دار المعارف (١٩٧٧)

٦. الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين المطبعة النموذجية – الاسكندرية .

٧. تاريخ الادب العربى حنا الفاخورى طـ١٢ المكتبة البوليسية لبنان .

٨. تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان مطبعة الهلال بمصر (١٩٢٤ م) .

٩. تاريخ الأدب العربى الحديث د. محمود على السمان ب . ت .

١٠. تطور الشعر العربى الحديث فى مصر ١٩٠٠ – ١٩٥٠ د. ماهر حسن فهمي ـ مكتبة نهضة مصـر بالفجالة .

١١. حافظ إبراهيم شاعر النيل د . عبد الحميد سند الجندى طـ ٣ دار المعارف ط (١٩٨١) .

١٢. الحماسة د . أحمد بدوى وآخرون مطابع المصرى بالقاهرة .

١٣. دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم خفـاجي مكتبـة الأزهـر ط (١٩٧٤) .

١٤. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجانى مطبعة المنار ١٣٣١ هـ .

١٥. ديوان البارودى جـ ١ ، جـ ٢ تحقيق على الجارم ومحمد شفيق معروف ط دار الكتب المصريـة (١٩٤٢) .

١٦. ديوان البارودى جـ٣ ، جـ٤ تحقيق محمد شفيق معروف ط دار المعارف (١٩٧٥) .

١٧. شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى عباس محمود العقاد مطبعة مصر الفجالة القـاهرة (١٩٧٣)

١٨. شعراء الوطنية عبد الرحمن الرافعى دار نهضة مصر .

١٩. الشعر والشعراء لابن قتيبيه مطبعة الفتوح الأدبية (١٣٣٢ هـ) .

٢٠. شرح القصائد العشر للتبريزى دار الكتب العلمية بيروت لبنان طـ١ (١٩٨٥) .

٢١. الصناعتين لأبى هلال العسكرى مطبعة محمد على صبيح .

٢٢. فصول فى الشعر ونقده د. شوقى ضيف ط١ دار المعارف القاهرة .

٢٣. فارس الشعراء أحمد سويلم الدار المصرية اللبنانية ط (١٩٩٧) .
٢٤. العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى مطبعة السعادة ١٩٠٧ م .
٢٥. مختارات البارودى ط دار العلم للجميع – بيروت .
٢٦. مع الشعراء د . زكى نجيب محمود دار الشروق .
٢٧. من نوابغ الفكر العربى محمود سامى البارودى عمر الدسوقى ط٢ دار المعارف .
٢٨. النقد الأدبى الحديث د . مجد غنيمى هلال ط دار الثقافة بيروت (١٩٧٣) .
٢٩. وطنية شوقى د . أحمد محمد الحوفى الهيئة العامة للكتاب ط٤ (١٩٧٨) .

دوريات

- مجلة منار الاسلام رجب سنه ١٤١٨ نوفمبر سنه ١٩٩٧ م .
- منبر الإسلام ربيع الأول سنه ١٣٨٣ هـ .

فهرست بمحتويات البحث

مقدمة : ١٦٢

الفصل الأول : حياة البارودى وعلاقته بعصره .

- حياته . ١٦٣
- صفاته . ١٦٤
- البارودى وعصره . ١٦٩
- البارودى وثورة عرابى . ١٧٢
- البارودى فى السجن . ١٧٣

: دوافع اتجاه البارودى للشعر الوطنى . ١٧٥

- الحياة العسكرية . ١٧٥
- رقة حسه ورهافة مشاعره . ١٧٦
- تقلبه فى المناصب المختلفة . ١٧٦
- البيئة المصرية . ١٧٧
- رحلاته . ١٧٨

الفصل الثانى : اتجاهات الشعر الوطنى عند البارودى . ١٧٩

- فى مصر وآثارها . ١٨٠
- استنهاض الهمم والعزائم . ١٨٥
- جهاده ومناهضته للاستبداد . ١٨٨
- فى المنفى . ١٩٢
- سنوات مهمة فى حياة البارودى ٢٠٠

الفصل الثالث : من الخصائص الفنية لشعر الوطنية عند البارودى . ٢٠١

- اللفظة والأسلوب . ٢٠٢
- المعانى . ٢٠٥
- العاطفة . ٢٠٩
- الخيال . ٢١٢

الخاتمة . ٢٢١

المراجع . ٢٢٦

فهرست . ٢٢٨